

الفصل الرابع

في مشاكل الحضارة المعاصرة

١٤٤ - الزوجان معا أقدر على حل مشكلتهما :

مواطنة من القاهرة تحكى مشكلتها وحيرتها بين اتجاهين يصعب الجمع بينهما فى حياتها ، رغم ان كل اتجاه منهما يحرص عليه الانسان العادى لما له من مزايا عديدة .

فقد وهبها الله التفوق فى الدراسة فى كلية الطب . حتى اذا ما تخرجت عينت « معيدة » فيها . وعليها ان تحصل على الماجستير ثم الدكتوراه . وقد حصلت الآن بالفعل على درجة الماجستير . وهى تقوم الآن بالتدريس للطلبة ، وتتعامل - كما تقول - مع زملاء ورؤساء .

وقد انعم الله عليها كذلك بزواج شباب متدين ، وحج الى بيت الله ، وبطفل صغير عمره سنتان . وهى نفسها متدينة وترتدى الزى الاسلامى منذ ان عينت فى الكلية ، وتأسف لأنها لم ترتده من قبل .

أما فى الجانب الآخر وهو الذى يسبب لها المشكلة فهو :

ان عملها فى احدى المحافظات ، بينما عمل زوجها فى محافظة ثانية ، وحضانة طفلها عند والدتها فى محافظة ثالثة .

ويراودها التفكير كثيرا :

هل تتفرغ لشئون زوجها ، وطفلها ، ومنزلها ، ولنفسها ايضا ؟ فهذه المشئون تؤدى الآن بصورة لا توطد العلاقة بين الزوجين ، ولا تعطى العناية الكافية بالطفل الصغير وبالأخص انها لم تتجب غيره ، وتأخذ حبوب منع الحمل ، كى لا ترهق نفسها بطفل آخر وهى تباشر العمل الخارجى .

هى تريد ان تترك هذا العمل الخارجى مع اهميته للمجتمع المسلم •
ولكن زوجها ووالدها يرفضان تركها العمل • وهى تسال عن رأى الاسلام
فى حل المشكلة ، كما تسال عن معنى قول الله تعالى فى سورة الأحزاب مخاطبا
نساء النبي عليه السلام : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الأولى » (١) •

● ربما من السهل على السيدة الطبية السائلة من الوجهة النفسية :
ان تترك العمل الذى تزاوله الآن فى كلية الطب ، لتتفرغ الى زوجها وطفلها
ومنزلها ، وحياتها الخاصة • اى لتتفرغ الى ما هو أهم لديها فى نظرها •

فالخمس سنوات الأولى فى الحياة الزوجية هى الأساس الذى يقوم عليه
نجاح الزوجية أو عدم نجاحها مستقبلا • فالمفارقات فى العادات والرغبات
إذا لم تضعف بين الزوجين فى هذه الفترة الزمنية ، كانت الزوجية مهددة
بالنزاع ، والخصام ، والفرقة • والأمر الذى يضعف شأن المفارقات فى
العادات والرغبات بين الزوجين ، يعود الى الزوجة أكثر مما يعود الى
الرجل • فالزوج ان عاد من العمل الى زوجته ووجدها ذات جاذبية واغراء :
بنظافة ملابسها ، وبنشاطها وحيويتها اقبل عليها فى عاطفة قوية • وعندئذ
تكون استجابته سريعة لتوجيهها • سواء فى استبدال ملابسها ، أو فى طريقة
تناول اكله ، أو فى نظافته ، أو فى التعبير عن رغباته ، أو فى تكوين
العادات الجديدة التى يتصف بها الانسان المهذب •

أما الأمر الذى يقوى المفارقات بين الزوجين فى فترة الخمس سنوات
الأولى فيرجع الى اهمال الزوجة نفسها فى اللبس ، وهى فى المنزل ، وفى
اعداد الأكل ، وفى ترتيب المنزل وتنسيقه ، واهمالها أيضا لأنوثتها • فتظل
مثلا بجلباب النوم أو البيجاما مهوشة الشعر ، وربما لم يظفر وجهها بالنظافة
منذ الليل الماضى ، وقد تكون عاملة تاتى من العمل الخارجى مكدودة ، مهمومة
بسبب أو بأخر ، ينسيها انها زوجة وانثى • فتفترق فى التدخين وتتناول
القهوة ، فى لحظة ينتظر زوجها منها أن تعد الطعام لهما معا • فان سألها
غضبت وتوترت اعصابها ، واحتجت بتعبها فى العمل وربما تقدم من الطعام
ما هو معلب أو جاهز الاعداد فى الخارج ، ويتكرر ذلك ، وكلما تكرر كلما
اسف الزوج فى نفسه على الزواج • وهنا تبتدىء عوامل الفرقة بين الزوجين
تقوى • ولا يرجئها الا طفل يربط بينهما • وعلى أية حال فمثل هذا الزواج
غير ناجح ومثل هذا الطفل الذى هو ثمرته ، غير سعيد •

(١) الأحزاب : ٢٣ •

● والطفل لا يعوض حضانة الأم له في الطفولة المبكرة أي نوع آخر من الحضانة . حتى ولو كانت حضانة جدته . وهي أم أمه . فالحضانة ليست رعاية للطفل في تناول الأكل وفي النظافة البدنية ، وفي الحرص على سلامته في السير أو في الحركة على العموم . وإنما هي نقل لحنان الأم إليه سواء في ارضاعه من ثديها ، أو في التقاء عينيها بعينيها ، أو في مداعبته وتنشيطه . والأم وحدها – وليس غيرها من أمها ، فضلا عن مدرسة الحضانة – هي التي تقدر وتصير وتحمل عملية نقل الحنان الانساني الخالص الى طفلها في فترة الحضانة .

ثم بعد فترة الحضانة : الأم وحدها هي التي يمكن ان تعد طفلها للمدرسة وللشارع ، كما تعده للبيت . فالمدرسة فيها التعليم . وبجانب التعليم توجد العادات الاجتماعية التي تربط بين تلاميذ المدرسة من جهة ، والمعلمين فيها من جهة أخرى . فللمعلمين احترام ، وللتلاميذ زمالتهم وأخوتهم . والشارع له تقاليد في المحافظة على نظافته ، وفي عدم البصق أو التبول فيه ، وفي طريقة السير على ارضيته ومراعاة قواعد المرور على ارضه . أما البيت فلا سبيل للطفل ان يتمسك بعاداته الا عن طريق القدوة الحسنة . والقدوة الحسنة تكون من الأم والأب معا . فهو لا يباشر الصراخ والبكاء اذا امتنع والداه معا عن الجدل والمشاجرة ، والمقاتلة ، امامه تماما . وهكذا . .

أما أهمية الحياة الخاصة بالنسبة للزوجة فترجع الى محافظتها على انوثتها . وليس على اجرها ، أو كثرة ملابسها . والمحافظة على الأنوثة ليست في « صنعة الزينة » التي تباشرها المرأة وإنما في حديثها ، وفي عواطفها . يجب أن تظل صاحبة الصوت لرقيق ، وصاحبة العواطف التي تجعل منها أما وزوجة بحنانها وتسامحها يجب أن لا تنتقل الى خشونة الرجل ، وغلظته ، وغروره .

● الوفاق مع الزوج . . والحنان على الطفل . . والبقاء في دائرة الانوثة للمرأة هي التي ترجع للسيدة الطبية السائلة أن تترك العمل الخارجي .

ورفض زوجها وابيها لتركها العمل له اعتباره كذلك . فهي من القليلات المتفوقات في دراسة الطب ، والتي تسير الآن في طريق « الأستاذية » . وعندما تصبح استاذة ستضيف الى الخبرات في شؤون طب النساء خبرة مؤمنة متدينة وما احوج المجتمعات الاسلامية المعاصرة الى مثلها . فبايمانها وتدينها سيزيد في خبرتها وخير ما في الخبرة « الأمانة » . وهي ولا شك

أمينة ، ومؤتمنة معا . وهذه الميزة للسائلة هي التي تحمل من يسمع أنها ستترك العمل ، على أن يبدي الأسف لحرمان المجتمع المسلم من مثيلاتها .

● ورأينا : انه يمكن للسيدة الطيبية السائلة أن تترك العمل الآن في الكلية فترة من الزمن تعنى فيها بزوجها ورعايتها لطفلها وتكسب فيها الزوج والطفل معا . وتركها العمل الخارجى فى هذه الفترة ، لا يحول بينها وبين الاستمرار فى الدراسة والاعداد لدرجة الدكتوراه فى انزل ، وقت الفراغ لها .

حتى اذا أحست بعد ذلك : أن لديها فراغ فلتباشر العمل عن طريق الندب أو التعيين لبعض الوقت وبذلك تجمع بين الحسنيين : مساعدة الأسرة الخاصة والأسرة الكبيرة وهى المجتمع المسلم .

● أما تفسير قول الله تعالى :

« وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » (١) ٠٠ فيحسن أن يسبقه تفسير قول الله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (وغض البصر من المرأة عدم نظرها الى الرجل . والقرآن لا يطلب ذلك منها هنا الا اذا كانت مارة خارج المنزل ان لا معنى ان يطلب منها عدم النظر الى الرجل الأجنبى عنها وهى جالسة فى بيتها) ، ويحفظن فروجهن (أى يكن عفيفات) ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها (أى لا يظهرن شيئاً من أبدانهن للناس الا ما ظهر منها بالطبع . وهو الوجه والكفان . فحركاتهما وتعاملهما يقتضيان الكشف عنهما . وبدن المرأة كله هو زينتها بدليل قوله بعد ذلك : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا ببعولتهن » أى لا يجوز لهن أن يظهرن شيئاً من أبدانهن الا لأزواجهن . وتعبير الآية عن بدن المرأة بزینتها ، ليعلم القرآن أن أى جزء من جسمها هو موضع لاثارة الرجل وفنتته ولذا يجب ستره) » (٢) ٠٠ فالآية تفيد جواز خروج المرأة من بيتها لحاجة بها . بشرط ان تغض البصر ولا تنظر الى الرجال يمينا ويسارا ومن فوق ومن تحت فى مرورها خارج المنزل .

فاذا جاءت آية الأحزاب تقول لنساء النبى ، وهو قول يتجه الى كل مؤمنة بعدهن : « وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ٠٠ فهى لا تطلب عدم جواز خروج المرأة وبقاءها حبيسة المنزل . وانما تطلب باستقرارهن فى البيوت اذا لم تكن لهن حاجة الى الخروج - لوقاية من التعرض لوقاحة بعض المارين . كما تشير آية سابقة عليها : « يا نساء

(٢) الثور : ٣١ .

(١) الأحزاب ٣٣ .

النبى لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض» (١) . والذى فى قلبه مرض هو من يقع تحت تأثير شهوته . ومن يقع تحت تأثير شهوته موجود فى كل وقت وفى كل مجتمع . وقوله : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » . معناه ان خرجتن من البيوت لحاجة فلا تلفتن أنظار الرجال بالملابس الفاقعة أو بصبغ الوجوه بالوان متعددة ، أو نحر ذلك . فان هذا من شأنه أن يثير الرجال . فيطمع الذى فى قلبه مرض .

وخروج المرأة الى العمل اذن اذا لم تصاحبه فتنة واثارة منها للرجال لا تحرمه الآية هنا . كما ان طلب استقرار المرأة فى المنزل وسيلة من وسائل وقايتها من التعرض لحقق بعض الرجال وايدائهم بالقول النابى ، أو بالحركة الجارحة . وكذلك القصد من النهى عن التبرج عند الخروج هو أمر وقائى لها مما تواجهه من مرضى النفوس وحمقى السلوك .

١٤٥ - هل للاختلاط نتيجة غير ما وقع :

يكتب مواطن من القاهرة :

انه متزوج منذ ست سنوات . وله طفلان . وانه يسكن فى منزل والى والد الزوجة ويعمل بالقاهرة مع انه من الاقاليم . وله ارتباطات مالية كثيرة معه . وزوجته فى السكن معه . ووالدها متزوج غير والدتها المتوفاة .

ثم يقول : ان زوجته مشاكسه ، وتختلق المشاكل ، وتكاد تحيله من عاقل الى مجنون . وذلك منذ سنة مضت . ولا يعرف سببا لذلك . الا انه ذات صباح مبكر استيقظ من نومه فوجدها تكتب رسالة ومستغرقة فى كتابتها . فتحايل عليها - كما يذكر - واخذ الرسالة فوجدها لمزمل لها فى العمل فى مكتب الشركة . وهى رسالة حب وغرام .

واستخلص منها انها على علاقة غير شريفة مع زميلها ، وانها تناجيه فيها أن لا يهجرها . فضبط اعصابه . ولم يفعل شيئاً سوى أن طلقها طلاقة واحدة ثم راجعها بعد أن استعطفته ، ويعد أن تعهدت له بأن تكون امينة فى حياتها الزوجية معه .

(١) الأحزاب : ٣٢ .

ولكن رغم ذلك استصحبها في الصباح الى محل عملها في الشركة .
وهناك التقى بزميلها المحبوب وطلقها امامه طليقة اخرى وترك له حرية
معاشرتها . فتنكر لها الزميل وكذبها فيما قالت ، وكذبتة هي بدورها فيما
يدعيه ، وتشاحنا معا . وعند ترك زوجها مكتب العمل المشترك استسمحته
وظلبت منه أن يقبلها في السكن مع اولادها كخادمة وأن يستر عليها أمرها .
اذ تخشى من زوجة ابوها ان هي علمت .

ورجعت الى البيت وكان يعاشرها بعد الطلاقين معاشرة زوجية . وحدث
ذات يوم بعد ذلك ان قال لها لسبب من الاسباب : انت طالق ثلاثا . وبذلك
اصبحت بائعة منه لا تصل له الا بعد ان تنكح زوجا غيره . ومع ذلك ظل
- تحت الحاحها وتذللها له - يعاشرها كزوجة . وهو يسأل :

(١) ما رأى الدين في الفترة التي عشتها معها ، بعد هذه الأيمان ؟

(٢) وما رأى الدين في حياتي معها الآن ؟

(٣) وهل لو هدأت نفسي امام معاملتها الذليلة المنكسرة يكون لى معها
حياة زوجية يرضاها الله ؟

● ونحن نسأل قبل أن نجيب على أسئلة السائل :

ما هو سبب التغيير في سلوك الزوجة ، بعد أن أمضت مع زوجها خمس
سنوات وانجبت منه طفلا وطفلة ؟

سببه ، كما يقول السائل ، انها كانت على علاقة غير شريفة واثمة
مع زميل لها في مكتب الشركة : غرر بها ، ووعداها بالزواج ان هي طلقت
من زوجها ، كى يستمتع بها ما شاء في وقتها الحاضر . ثم لم يف بوعدده
وتشاحنا في حضرته . هي عاملة وتختلط بزملاء لها في العمل في الشركة ،
بعيدا عن المنزل ، وعن مسئولية الزوجية اليس هذا الجو يوحى لها ساعة ما :
ان تتجاذب اطراف الحديث مع زميل قد يبدي اعجابه بها خداعا ؟ . والمرأة
مهما كانت صلابتها يهزها الثناء والاعجاب ، ولو بخطها في الكتابة فضلا عن
صوتها في الحديث ، فضلا عن قوام الجسم ، وجمال الوجه ؟ .

ان الخروج الى العمل : كما يساعد على استقلال المرأة اقتصاديا .
يعطيها لونا من « الحرية الشخصية » قد يدفعها الى تجاوز المسئولية في
العلاقة الزوجية ان كانت زوجة ، وبالأخص ان كانت ضعيفة الشخصية ،
كزوجة السائل هنا .

ولا شك أن ما يصف به السائل هنا زوجته من المذلة والمهانة والاستجداء فى البقاء عنده ، وما كانت تكتبه قبل الآن من غزل وتلهف على لقاء الصديق وهو زميل العمل معها ، يجعلها ضعيفة لا تتحمل أية مسئولية سواء فى المنزل أو فى المكتب فى الشركة . وستظل تستجدى أن هنا أو هناك ، وستظل تحاول أن تربط برجل ان هنا أو هناك فى علاقة مشروعة أو غير مشروعة . ولو قدر لها ان تستقر فى بيتها مع اولادها لكان خيرا لها من حيث هى زوجة وأم .

● أما ما يسأله السائل عن رأى الدين فى الفترة التى عاشها معها بعد أن طلقها بالثلاث وبعد ان سبق ان طلقها مرة ثم مرة أخرى فهو لم يعد زوجها لها . وهى بانئة منه لا تحل له الا بعد أن تتزوج زوجها غيره ثم يعقد عقدا جديدا عليها .

وما يسأله فى حياته معها الآن ، فليست حياته معها الآن بعد ان بانء منه حياة شرعية . أما مستقبلا لو هدأت نفسه وارتضاها زوجة مرة أخرى بعد ان تتزوج غيره . وتطلق منه ، وبعد ان يعقد عليها عقدا جديدا ، فلا يعلم الا الله مدى صلاحيتها لأن تكون زوجة وأما .

والعمل خارج المنزل فى الشركات أو فى المصالح الحكومية هو مصدر اغراء للمرأة المعاصرة . ولكنه فى الوقت نفسه ينطوى على خطر الانحراف والبعء عن مسئولية المنزل ، أما أو زوجة ، فى صورة ما . وفى النهاية قد يؤدى الى كارثة كتلك التى يتحدث عنها السائل هنا . وهى كارثة المذلة والمهانة للمرأة ذاتها .

١٤٦ - تعرض الايمان الى الاهتزاز :

سيدة من إحدى المحافظات تقص حالتها فيما يلى :

هى سيدة فى سن الرابعة والأربعين . ولها ثلاث بنات فى الجامعة وولدان بالثانوى ، ولد طبيب وآخر مهندس . وهى - كما تروى - تعيش عيشة كريمة . أى لا تحتاج الى مساعدة من احد . لم تكن تصلى ولا تؤدى العبادات الاسلامية من قبل . ولكن منذ سنوات - واعتقد منذ وفاة زوجها او طلقها منه ان كان حيا - وفقت والحمد لله الى الصلاة ، والصوم فى رمضان ، وفى يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع . والآن من مدة شهر انتابتها حالة طارئة ويغيبه الى نفسها وهى عندما تبدأ فى الموضوع تحس

ان امرا خفيا محبوبا في القلب ، ولا ينطق به اللسان يسب الصلاة ، والله ، سبحانه وتعالى . وهي قلقة ومزعجة الى حد كبير من هذا المخاطر النفسى .

وتسأل : هل علاجها عند طبيب الأعصاب ، أم عند واعظ ؟

هل يجوز لها وحالتها على هذا النحو أن تذهب الى حج بيت الله الحرام ؟
وأولادها جميعا يرون علاجها في الزواج ! وتريد الرأى لتسكن اليه .

● لا شك ان حالة السائلة حالة نفسية . فهي الآن فى سن الرابعة والأربعين وهى ارملة أو مطلقة وأولادها تباعا سيتركونها ، عندما يتزوجون ، أو يفرغون من دراساتهم وسترى نفسها يوما ما وحيدة أو معزولة فى الحياة . يضاف الى ذلك : ان سن اليأس تزحف عليها . وسن اليأس هى السن التى تتصور فيها المرأة انها الحد الفاصل بين ما مضى من حياة مليئة بالمرح والنشاط ، والآمال ، وبين آت مقبل يسعى بها الى الشيخوخة ثم الى انقضاء الحياة .

هى تحس الآن : أن الحياة تمضى عنها ، وهى فى سن الرابعة والأربعين وكان يمكن أن تستمتع فيها بمتع الحياة . وربما عندها مال . . . وعندها أولاد . ولكن ليس عندها رجل زوج . وما يكون مفقودا لدى الانسان يتمناه أكثر ويلح فى تمنيه .

انها سترى اولادها فى يوم قريب : البنت لها زوج . . . والولد له زوجة . . . وكل زوج وزوجته يعيشان حياتهما الخاصة بعيدا عنها . ولهما اسرارهما . سترى الحياة امامها ، ومن فى سنها لم يزل يستمتع بحياة كانت تتمنى ان تكون مشاركة فيها .

● وهى عندما أقبلت على أن تؤدى الصلاة والعبادات الأخرى ، بعد أن كانت لا تصلى ولا تصوم ، وربما بعد أن كانت تفكر تفكيرا يقوم على السخرية ممن يؤدونها : أقبلت عليها علها تجد فيها سبيلا ينسيها الحياة البشرية ومتعتها . . . أو يغنيها عن التفكير فيما يستمتع به الآخرون على مقربة منها وليس عندها هى . أو علها تحقق عن طريق العبادة لله هدفا تخفيه عن نفسها . فـ: تعبد الله عندئذ على حرف ولغاية .

فلما مرت السنون على صلاتها وعبادتها . ولم ينته الصراع الداخلى فى نفسها - وهو صراع من أجل ما فاتها ، وتعويضه - أخذت تضيق بأداء الصلاة . لأن . . . أداءها لم يفرج كربتها . ولم يحقق لها أملا حتى الآن .

وابتدأت مع ذلك تياأس وكلما تقدم بها السن كلما زاد يأسها حتى عبات نفسها بالكراهية لما تفعله وهو طارئ جديد عليها . وما تفعله هو الوضوء اولاً للصلاة . وتعبر عن هذه الكراهية بقولها : « ولكن من مدة شهر عندما أبدأ فى الوضوء أو الصلاة أجد شيئاً لا يخرج من قلبى أو لسانى : يسب فى الصلاة ، وفى الله جل جلاله ، واعوذ بالله منه » . . .

ولو أنها كانت تعبد الله لغير منفعة منتظرة ، أو تحقيق أمر ، كالزواج مثلاً كانت ترجوه ، لوجدت أن المتع المادية والدينية هى متع خادعة ، تنقض لذتها بعد قصير . وربما تنتهى لذتها بما يسبب اساءة دائمة .

ان الايمان بالله - صدقاً وحقاً - يرفع الانسان من طالب للمتعة المادية والدينية . . الى مستغن عنها ، وقانع بما بين يديه . والقناعة خير طريق للاستغناء لأنه طريق ذاتى ، يخطه الانسان بنفسه ، وينفذه بذاته .

والايمان بالله هو السبيل الأقوى لانهاء الصراعات الداخلية من أجل المتع الدنيوية وليس تحصيل هذه المتع هو الطريق لانهاؤها . بل كلما حصل الانسان بسعيه هذه المتع كلما زاد الصراع واشتد فى تحصيلها .

والسائلة فيما تسأل هنا عما ترتضيه لها من حل من هذه الحلول الثلاثة . وهى : العلاج النفسى عن طريق الطب . أو الوعظ . . وحج بيت الله الحرام ، والزواج ، كما يقترح عليها ابناؤها وبناتها : فما ترتضيه لها هو أن تتزوج ان كانت لديها امكانية الزواج . . أى ان كان لديها رجل ترتضيه ويعرض عليها أن يتزوجها . أما حج بيت الله فسيكون شأنه لديها شأن الصلاة والصوم . على معنى انها ان أدته ولم يتحقق لها الغرض من أدائه - وهو غرض دنيوى - فسيزداد اليأس فى نفسها ، وتزداد النعمة منها على ربها .

وأما العلاج النفسى بالموجات الكهربائية أو بالايحاء ، أو بالوعظ فسوف لا يصل الى العمق فى نفسها ، بعد أن ترسبت فى هذا العمق موجات الندم على ما فاتها فى الحياة منذ وفاة زوجها أو منذ طلاقها منه ، وبعد ما ضعف أملها فى الاستمتاع بمتعها ، وقد اصبحت مسيرتها فى الحياة قاب قوسين أو أدنى من « سن اليأس » . . .

١٤٧ - موقف الاسلام من الطبقة والاقطاع :

يسال مواطن من احدى القرى ، وطالب بأداب احدى الجامعات - عن موقف الاسلام الصحيح :

أولا : تجاه الطبقة ..

ثانيا : والاقطاع ..

● الطبقة مصطلح ماركسى أو شيوعى . ويقصد بالطبقة أن المجتمع ينقسم الى طبقتين : طبقة الاغنياء ، وهم السادة ، والمستغلون للعمال . فهؤلاء العمال أصحاب حرف ومهارات مختلفة فى الصناعة . ويقومون بالصنعة ولا يعطون من الأجر عليها ما يناسب صنعتهم . بدليل أن مصنوعاتهم عندما تباع يتوفر بعد التكلفة وأجر الصنعة ما يرد الى هؤلاء الاغنياء ، من غير أن يباشروا عملا ، سوى أنهم مولوا الصناعة وأعطوا الأجر غير المناسبة لعمال .

والطبقة الثانية هى طبقة الفقراء التى لا تملك المال وتملك الحرفة . وهى لا تأخذ على عملها الا الأجر القليل . فهى طبقة مستغلة ومكدودة . وأوضاعها الاجتماعية غير انسانية : سراء فى السكن .. أو فى الرعاية لصحية .. أو فى تعليم ابنائهم ..

ولذا توجب الشيوعية ما تسميه بالصراع الطبقي ، على الفقراء لتسلم زمام السلطة فى المجتمع ، ووضع رؤوس الأموال لدى الأفراد فى صندوق الدولة ، عن طريق التأميم .

● أما الاقطاع فهو أيضا مصطلح تستعمله الشيوعية كثيرا . والاقطاع الذى تتحدث عنه الشيوعية وتستخدمه فى لغتها كثيرا نوع من الملكية الزراعية كان يوجد فى أوروبا . وهو أن بعض الأفراد من النبلاء أو من غيرهم كانوا يملكون أراضى زراعية شاسعة تنتشر قرى عديدة فوقها ، ويعمل فيها العبيد الذين كانوا يجلبون قهرا من افريقيا وغيرها عن طريق الخطف والقرصنة ، وليس عن طريق الأسرى فى الحروب . وكانت هذه الأراضى اذا بيعت تباع بما عليها من القرى ، وبمن يعملون فيها من العبيد .

وكانت معاملة العبيد معاملة شائنة للانسانية وتاريخ البشرية . فهم فوق كونهم سلعة تباع وتشتري ، كانوا يعيشون عيشة دون الحيوان والكلاب فى سكناهم ، وفى ملابسهم وفى تقوتهم . ويجب عليهم من وجهة نظر

الماركسية : الصراع الطبقي كذلك ضد أصحاب الأملاك الزراعية الواسعة .
فان لم يوجد لدى هؤلاء اليوم عبيد فليوجد فلاحون ينتقل اليهم وجوب الصراع
ضد اغنيائهم من أصحاب الأملاك .

وبهذا تبدو الشيوعية منهاجا صالحا للحياة ، يخدع به كثير من الشباب
والعمال والفلاحين .

ان ذلك كان فلسفة القرن التاسع عشر ، ولم يزل فلسفة كثير من
المجتمعات المتخلفة أو النامية اليوم . والسؤال الآن : هل صلح حال العمال ،
والفلاحين ، والفقراء على العموم في المجتمعات التي اخذت بالنظام
الماركسي ؟ أم زاد امرهم سوءا : فعانوا في سبيل الحصول على لقمة العيش ،
وغرفة السكن . وحرموا من حرياتهم الفردية . وشق عليهم الحصول
على كثير من الخدمات الاجتماعية في اسفارهم واقامتهم واتصال بعضهم
ببعض . وعلق أمر القانون المكتوب ، وفتحت المعتقلات ومعسكرات العمل
ومستشفيات المجانين ، واصبحت الملايين الكادحة مستغلة لعصابات ثرى
من دمائهم دون جهد أو عمل ما . الا الانتماء الى الحزب ، أو السير في
ركاب النفاق ؟

ان العمل منذ النصف الثاني من القرن العشرين لم يبق يدويا .
ولم يحتج الى كادحين . انه تحول الى عمل آلي ، ويحتاج الى خبراء في
الآلية ، ويستندون في خدماتهم الى العقل ، والتثقيف ، والتدريب الفني
الواسع ، وليس الى العضلات ومجهود التجمعات الجماهيرية .

وان التقدم في التطبيق الصناعي جعل فلاحا الأراضي الزراعية في غنى
تام عن العبيد ، وأمثال العبيد . وأعطى القليل من الأفراد امكانية الآلاف
المؤلفة من الفلاحين الذين كانوا يستخدمون في الزراعة وتربية المواشى ،
وما يتصل بأمر الزراعة على العموم .

ان العمل اليدوى لم يزل في كثير من المجتمعات التي لم تتطور بعد .
ولكنه كاد ينقرض في المجتمعات التي اخذت بالآلية . والآلية هي مستقبل
البشرية . وهي مصدر رخاء واسع للملايين .

ان فلسفة ماركس في الطبقة . . والاقطاع . . والصراع الطبقي : مدبرة
ومولية وهي تحاول أن تظل صاحبة حركة في سيرها . ولكن ضغط الفقر ،
والاندلال ، والحرمان والاستضعاف في مجتمعاتها سيقعدها تماما عن أية حركة
في المستقبل ، ولو كانت هذه الحركة تحسب بخطى النملة .

● أما الاسلام فهو لا يعادى المال ولا جمع المال اطلاقا ولكن يجعل فقط وظيفته وظيفه اجتماعية . وهى الاشتراك فى منفعته وان كانت ملكيته ملكية خاصة . واذ يقول : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق (أى جعل الناس مختلفين فيما لديهم من اموال . وفيهم الغنى كثيرا . . وفيهم الفقير الذى لا يملك شيئا) ، فما اللذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء (أى الأسياد الذين يملكون ، والعبيد الذين لا يملكون : سواء فى الانتفاع بالمال هنا . وليس للمالكين فضل فى ذلك . وانما حق من لا يملك كحق من يملك فى الانتفاع بالمال : سواء) » (١) . اذ يقول الله ذلك ويسوى فى حق المنفعة بين : المالك للمال ، وغير المالك له ، فانه لا يقيم حاجزا دون نماء المال بسعى صاحبه . . ولا يبقى على حرمان من لا يملك وهو ينظر الى المال يسيل من يد من يملكه . ولذا لا يوجد حقد فى نظر الاسلام ممن لا يملكون على من يملكون . وبالتالي لا يوجد صراع طبقي ولا سعى لقلب نظام الحكم من أجل التسلط باسم « العمالية » وتأميم الأموال الخاصة باسم العدالة الاجتماعية .

نعم . . الاسلام يرى فى النظام الطبيعى للمجتمع البشرى : أن يكون هناك غنى بماله . . وآخر غنى بحرفته ومهنته . وكل من النوعين فى حاجة الى الآخر . هذا الغنى بماله يدفع من ماله الأجر لصاحب المهنة والحرفة اذا عمل له عملا . وهذا الغنى بحرفته يقوم بالعمل لغيره بالأجر عليه . والمجتمع الاسلامى اذن ليس مجتمع ملاك ، ولا مجتمع عمال . خالصا . . ليس مجتمعا رأسماليا ، ولا مجتمعا اشتراكيا ماركسيا يقول الله تعالى : « أهم يقسمون رحمة ربك (يريد الاختيار الى الرسالة) نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (فى الرزق ، والمال) ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . . (أى ليؤجر بعضهم بعضا للعمل . والاختلاف بين الناس : هذا يملك . . وذلك لا يملك ، ليس للصراع والفتنة . وانما ليستقيم أمر المجتمع فى حاجة كل فرد للآخر . فلو كان المجتمع كله مثلا ذكورا ، أو كله اناثا لما استقام اطلاقا ولذا خلق الذكر ، وخلقت الأنثى ، وهما معا يختلف أحدهما عن الآخر . ولكنه ليس الاختلاف للصراع بينهما . وانما لسكنى والاطمئنان والموودة والرحمة . كذلك الشأن فى الاختلاف فى ملكية المال ، والعمل) » (٢) .

وبجانب حماية لاسلام للوضع الطبيعى للمجتمع فانه يحمى الفقير بفرض عبادة الزكاة ويحمى مالك المال من طغيانه بالارث وتفقيت الملكية . فالذى يخرج الزكاة هو سيد على ماله وليس عبدا له . والذى تؤول ملكية ماله الى عبيدين من ورثته لا يجد فى المال قوة يعتز بها . وانما يرى انه مستخلف عليه لوقت ما ، ثم يخرج من يده الى آخرين .

الاسلام فيه الضمان للعدالة الاجتماعية ٠٠ والحماية من الطغيان
بالمال ٠ والمؤمن أخ المؤمن فى الاعتبار والكرامة : وكتاب الله يقول : « يا ايها
الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من
نساء عسى أن يكن خيرا منهن » (١) ٠٠

١٤٨ - المدخل الى الحرام :

تقول طالبة باحدى المدارس الثانوية باحدى المحافظات :

أنها تتكلم مع زملائها فى الفصل وفى المدرسة وتناقشهم فى موضوعات
المنهج الدراسى ٠ وتقصر حديثها ومناقشتها على داخل المدرسة ، دون أن
تتجاوزها الى خارجها وتسال : هل هذا حرام ؟

● المدارس المشتركة بين البنين والبنات فى مصر تبناها بعض وزراء
المعارف السابقين الذين تأثروا بتفكير « جون ديوى » ٠٠ احد الزعماء
التربويين فى الولايات المتحدة الأمريكية ٠ وهو يستهدف من التربية المختلطة
بين الذكور والاناث ازالة ما قد يكون هناك من فجوات نفسية خلقتها الاعراف
والتقاليد ، أو صنعتها البيئات المختلفة التى نشأ فيها التلاميذ والتلميذات ،
أو أوجدتها تعاليم الدين ٠

ويريد اذن من التربية أن تكون لا دينية ٠٠ أن تكون - كما يسميها -
انسانية أو علمانية ٠ فاذا طبقت هذه التربية هنا فى مصر ، فيجب ابعاد الدين
عن مناهجها ، فان لم يبعد رسميا فان سبيل الاختلاط بين الذكور والاناث فيها
كفيل بابعاده ، وابعاد كل تقليد أو عرف يقوم عليه ٠ فالشباب فى سن المراهقة
وهى السن التى يوجد فيها الطالب أو الطالبة فى التعليم الاعدادى والثانوى ،
يدفع دفعا بحكم الغريزة - نكرا أو انثى - الى اللقاء والحديث مع الجنس
الأخر ٠ فان لم يكن لقاء ولا مشاركة فى الحديث أو فى الجلوس ، فلا أقل من
النظرات ، والنظرات المعبرة عن الرغبة والاعجاب ٠

وسن المراهقة هى الفترة الحرجة فى حياة الشاب والشابة على السواء ،
ويتوقف على السلوك فيها مستقبل أى واحد منهما ٠ ولا يقال - كما يدعى
الآن - ان تعود الاختلاط فى سنوات الدراسة منذ التعليم الابتدائى ثم فى

(١) الحجرات : ١١

الاعدادى بعده يضعف من القابلية ، وتحذ من قوة الرغبة بين البنت والولد فى التعليم الثانوى ثم فى الجامعة بعده . ويقيسون ذلك على ما يجرى فى أوروبا الغربية أو فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى الاتحاد السوفيتى .

ولكن هذا القياس مع الفارق . وهو أن الشباب هناك يمارس العلاقة الجنسية مبكرا . وقد يكون ذلك منذ سن الحادية عشرة . والظروف مهية للاستمرار فى هذه العلاقة من الناحيتين : الاجتماعية والاقتصادية هناك . ولذا من الظواهر الشائعة فى هذه المجتمعات : عدم اقبال الرجل على المرأة ، بعد سن الأربعين ، زوجة أو غير زوجة ، وانتشار الأمراض العصبية ، والعلاج النفسى . أو الجنسى ، والادمان على الخمر والمخدرات بين النساء : من يعملن منهن ، ومن هن مترفات ينفقن فى بذخ . ومصايف البلدان شبه المتخلفة فى افريقيا أو فى غيرها يتردد عليها الآلاف المؤلفات من النساء العانسات وغيرهن اللاتى يعشن فى المجتمعات المتحضرة .

أما الشباب فى مصر وفى كثير من المجتمعات العربية والاسلامية ، فمع ما يقال عنه من الميل الى الفوضى واللااخلاقية فلم يبلغ به الاختلاط الى المستوى الذى اشرنا اليه هنا ، للعامل الاقتصادى من جهة ، ولاحترام التقاليد ولو فى صورة هزيلة من جهة أخرى . وبمرور الزمن ستهتز هذه الصورة الى أن تتلاشى .

❁ ومن أجل « فتنة الاختلاط » بين الشباب ، ذكرا وأنثى ، فى المدارس المختلطة أو المشتركة ، لا يرضى الاسلام عن هذا النوع من المدارس . ووجوده فى مصر ليس لحاجة اليه من الوجة التعليمية أو الاقتصادية . وانما هو تقليد لبعض المجتمعات المعاصرة فى أوروبا وأمريكا . هو تجربة يتوهم من أدخلوها : انها ستعسل الميزان بين الجنسين وتقوى بينهما الألفة وبالأخص بعد الزواج ، فيقل الطلاق فى الأسرة أو ينعدم تماما .

ان الأمر الذى يعدل الميزان بين الجنسين هو التربية الاسلامية ، قبل الزواج وبعده . فامرأة بالتربية الاسلامية تعد نفسها للصلاحية كزوجة وأم . والرجل يعد نفسه بهذه التربية ليحمل مسئولية الأسرة من زوجة وأولاد . وكلا النوعين يدخل الزواج فى اهلية وفى صلاحية . وتقل بذلك الخصومة بينهما وتحل محلها الألفة والانسجام .

ولكن هذا النوع من المدارس المختلطة فوق أنه يقدم « الاثارة » للبنت والولد على السواء ، فقد يقدم كذلك : الاغراء ، وينتهى أمره الى المأسى .

ان مجتمعنا لم يصل بعد الى مرحلة الانحلال ، او الى مرحلة القابلية له . فهو الآن فى مرحلة النهضة . . ومرحلة النهضة هى مرحلة الجسد فى العمل والالتزام .

ان المجتمع اليابانى لم يصل الى نوع المجتمعات القائمة فى أوروبا وفى أمريكا فيما يسمى بالانحلال والملاخلاقية فى بعض جوانبه الا بعد أن فاق فى نهضته الصناعية والتكنولوجية والعلمية كثيرا من المجتمعات الغربية . وعندما نهض . . وعندما فاق فى نهضته هذه المجتمعات كان مجتمعنا له تقاليده الخاصة . . ولم يطرح هذه التقاليد الا بعد الضغط عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، من أعدائه فى الشرق والغرب على السواء .

١٤٩ - من صور الحضارة المستوردة :

حضر الى منزلى ذات مساء زوج هو أب يتجاوز سنه الخمسين من العمر ، يسألنى رأى الإسلام فيما قصه على . وقد قص انه تأكد لديه : ان زوجته لها علاقة جنسية غير شرعية بأبن لهما . وانها بعد أن انتقلت فى المنزل فترة من الزمن الى غرفة ابنتها تنام معه فى فراش واحد ، تركت المنزل هاجرة زوجها مع ابنتها الحبيب ، وشاركت ابنتها المتزوجة مسكنها الخاص بها .

ويسأل مواطن من احدى القرى عن رأى الإسلام : فيما راه ابنه من ان خطيب أخته متلبسا بفعل شائن مع أمه فى الممر الموصل الى دورة المياه . ويصف : ان هذا الذى وقع بين خطيب ابنته وزوجته ، سبب له بجانب الفضيحة فى القرية كلها ، مشاكل هى نكبات له .

ويذكر مواطن آخر : ان احدى قريباته من السيدات تبيع جسمها بالثمن للعرب ، مع انها ثرية جدا جدا ، ومتعلمة ، ولكنها تحب المال كثيرا هى وامها . وقد عمل المستحيل - كما يروى - بالقوة والهدوء ، ولم ينجح معها وهو يسأل الآن :

هل يبلغ شرطة الآداب ؟ . ولكنه يتردد فى هذا الاجراء ، خشية على زوجته وأولاده .

ويسأل تلميذان بالصف الثانى باحدى المدارس الثانوية عن حكم الإسلام فى زوج يدفع زوجته الى المعاشرة غير الشرعية مع رجال اجانب ،

قصدا الى المريح المادى • ويساعدها على مباشرة اقتراف جريمة الزنا
ويتيح لها كل الفرص لمباشرتها •

أربعة أسئلة :

(أ) هذه أم وزوجة تنتهك حرمة الأمومة ، والزوجية لتستمتع بشباب ابنها •

(ب) وهذا رجل ينتهك حرمة حماته وأم زوجته مستقبلا • والحماة تنتهك
حرمة زوجها وتذهب بشرف ابنتها وكرامتها ومستقبلها •

(ج) وهذه سيدة ثرية وملتزمة - كما يقال - يطغى عليها حب المال وجمعه
فتطغى به على كل القيم الانسانية : على العفة •• على الكرامة الانسانية
•• على الاستقامة والشرف •• على حسن السمعة فى المحيط الذى
تعيش فيه وفى أسرة التى تنسب اليها •

(د) وهذا زوج يهيء الفرصة لزوجته لتعاشر الرجال غيره معاشرة جنسية،
وتجمع له المال • وفى سبيل جمعها للمال ، يهدر كرامتها كإنسان ،
ويبيع منها ما لا تستمتع به ، وما قد يعرضها لأمراض خبيثة قلما تنجو
منها •

● وهذه الأسئلة الأربعة تعبر عن عدة ظواهر فى مجتمعاتنا الاسلامية
المعاصرة وهى ظاهرة : دينية •• واجتماعية •• ونفسية •

هذه الأسئلة تعبر أولا عن ظاهرة ضعف التدين ، وضعف سلطان الدين
على النفوس • فليس هنا وزن ولا قيمة ولا حرمة للأمومة الأم عندما تغرى
الأم ابنها وتعاشره معاشرة جنسية للاستمتاع بشبابه ، وفى غير خفاء •
وليس هناك وزن ولا قيمة ولا حرمة لبنوة الابن لأمه ، عندما تحمله غريزته
الجنسية على أن يعاشرها فى فراشه كما كان أبوه يعاشرها • وليس هناك
وزن لبنوة الابن لأبيه عندما يصدمه فى زوجته ، وهى أمه فيخلعها منه ،
وينتقل بها الى فراشه فى مسكن آخر ، هو مسكن أخته وزوجها •

والاسلام فى تحريم الزواج بالأم ، فضلا عن الزنا بالأم ، يقول : « حرمت
عليكم أمهاتكم » (أ) •• وفى تحريم الزواج بزوجة الأب ، وطبعاً لغير ابنها من
ابنائها هو ، فضلا عن الزنا بها يقول : « ولا تتكحوا ما تكح أبواؤكم من النساء
إلا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » (ب) ••

(٢) النساء : ٢٢

(١) النساء : ٢٢

ويتحول الوضع فى المجتمع فى وقتنا الحاضر فيسعى الابن الى أن تكون
أمه عشيقته وتسعى الأم الى أن تكون عشيقه ابنها ، فى مواجهة زوجها
ووالده ، وبعلم اخوته وأولادها الآخرين .

● هذه الأسئلة تعبر مرة ثانية عن تفكك الأسرة فى مجتمعاتنا
الاسلامية المعاصرة ، فلم يعد النسب ، ولا المصاهرة برباط فيها . أى رباط
فى الأسرة يبقى بعد أن تسلم أم الزوجة المقبلة نفسها لخطيب ابنتها فى المر
الموصل الى دورة المياه ؟ أى تصور يتولد عند ابنها من وضعها الشائن
بعد أن كشف عنه وأبلغ به والده وأقاربه فى الأسرة ؟ الهذه الأم ، والزوجة ،
بعد أن أضحت عشيقه خطيب ابنتها : بقية من حرمة ، وكرامة وشرف فى نفس
عشيقها . وفى نفس ابنها . وفى نفس ابنتها . وفى نفس زوجها ورب
الأسرة ؟

ان أما وزوجة تفعل الفاحشة والمنكر مع ابنها الذى ولدته وأرضعته . .
وان أما وزوجة تفعل الفاحشة والمنكر مع خطيب ابنتها - وهى ستكون بمثابة
أمه وفى منزلتها - ماذا تفعل اذن الأخت مع أخيها . . أو مع أختها الأخرى ؟ .

● وهذه الأسئلة تعبر مرة ثالثة عن المادية . أى طغيان المتع المادية
. . المتع البدنية ، والجسدية ، والشهوية . كما تعبر عن المادية فى المال وهى
طغيان الشره فى السعى اليه وجمعه .

ليس هنا فى سبيل المتعة البدنية تهجر الزوجة زوجها ، وتسعى الى أن
تعيش فى حضان ابنها وفى فراشه ؟ أو تسعى الى أن تستمتع بخطيب ابنتها
قبل أن تستمتع البنت به ، وتعتدى بذلك على حق الزوج القائم ، أو الزوج
المقبل ؟ وتفسد كذلك حياة الابن ، وحياة البنت ، كما تفسد الأسرة كلها ؟ .

واليس فى سبيل جمع المال تخرج المرأة الثرية ، والمتعلمة ، كما تخرج
الزوجة بحمل زوجها اياها على الخروج ، للقاء من لا تحبه وان اصطنعت له
الحب ، وتعطيه من نفسها وأسرارها ما شاء ، مقابل أن تعطى منه المال الذى
تشرطه ؟

ان التى تبيع بدنها مقابل المال لا تستمتع بالبدن ، ولا تستمتع بالمال ،
كما لا تستمتع بمستوى الانسان فى انسانيته . انها مهانة ذليلة من نفسها
ومن الآخرين : لا تستمتع بالبدن لأن الأمر لديها ، أصبح عادة ، وعادة كريهة
فى كثير من الأحوال . أما المال فانها ان نظرت اليه تذكرت « السلعة » التى
تعرضها على من يحقرها وان قبلها عندما يبادلها البيع والشراء .

ومن أجل دفع المذلة والهوان ٠٠ ومن أجل احتفاظ الانسان بكرامته ،
 واحتفاظ المرأة بحريتها ، حرم الاسلام الفواحش ، وفى مقدمتها : الزنا .
 ومن أجل المتعة لذات المتعة أباح الاسلام الاستمتاع بالطيبات ، ونهى فقط عن
 الاسراف فى الاستمتاع بها :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ،
 انه لا يحب المرففين » (١) ٠٠

رسالة الاسلام تحرص على أن يظل الانسان فى مستواه الانسانى :
 لا يسقط عنه بالمذلة والمهانة . ولذا يطارد « المادية » أو الطغيان بالمتعة والمال :

« وائل عليهم نبأ الذى أتيناها آياتنا (والآيات هى هداية الله) فانسلخ
 منها (أى بعد عنها) ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين (أى المنحرفين عن
 هداية الله) . ولو شئنا لرفعناه بها (أى لعلونا به فى مستوى الانسانية)
 ولكنه أخذ الى الأرض (نزل الى الدنيا والفواحش) واتبع هواه (فى
 الاستمتاع بالمتع المادية وفى جمع المال ، وعصبية الأولاد) فمثله كمثل الكلب
 ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث (فهو يلهث فى كلتا الحالتين أى هو تعب
 دائما سواء فى حال اليسر أو حال العسر . لأنه لم يتبع الطريق
 السوى) » (٢) ٠٠

ونحن فى اجابتنا على الأسئلة الأربعة نستنكر باسم الاسلام
 ما ال اليه طغيان المادية فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة ، وندعو الى هداية
 الدين . فانها وحدها هى التى تفصل بين طريق الحيوان وطريق الانسان .

أما الفقه الاسلامى فيرى ان كانت تطبق الشريعة الاسلامية : قتل من
 عاشر أمه معاشره جنسية . استنادا الى حديث شريف : « ومن وقع على
 ذات محرم فأقتلوه » ويعتبر من عداه زناة ، يقام عليهم الحد . كما نذكر
 بقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم
 فاحذروهم » (٣) ٠٠ اذ هنا كانت الزوجة عدوة لزوجها ٠٠ والزوج عدوا
 لزوجته ٠٠ وكان الولد نسبيا عدوا لأبيه ٠٠ والولد مصاهرة عدوا ، أيضا
 لأبيه فى المصاهرة .

(٢) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦

(١) الأعراف : ٣١

(٣) التغابن : ١٤

١٥٠ - عندما تدخل الهواجس حياة المرأة :

تقول سيدة من إحدى المحافظات :

أولا : انها فى الرابعة والعشرين من العمر ، واصيبت منذ سنتين بحالة نفسية لم تجد لها علاجا عند بعض اطباء الأمراض النفسية ، وتحسنت حالتها بعد ان وجدت عند بعض المشتغلات بالتنجيم والسحر ، لبضعة أشهر • ثم عادت اليها المحالة نفسها بعد ان اغفلت وصية الساحرة بأن تكرر الزيارة لها كل شهر • وتسال : ما الذى يشير به الاسلام حتى تتجنب طريق السحرة ، والموثوق تحت رحمتهم ؟

ثانيا : هذا امر • وهناك امر ثان تستفسر عنه ايضا • وهو : هل للشيطان او الجان سيطرة على الانسان ؟ • لانها عندما تستعد لصلاة العصر ، والمغرب والعشاء بعده لا تستطيع الحركة ، رغم انها تحس بالتقصير فى حق المولى سبحانه ، كما تحس بأن أحدا ما يحاول ان يبعدها عن طريق الله ، ويمنع لسانها من ذكر اسمه جل جلاله •

ثالثا : وامر ثالث تريد الرأى فيه • وهى ان شابا تقدم لخطبتها ولا يعرف عن حالتها النفسية شيئا • فهل ترفض الزواج منه رغم موافقة والديها عليه ؟ أم ترضى به استسلاما للأمر الواقع ؟ •

رابعا : وأخيرا تسال : هل الشرع يحل عدم رد الشبكة لمن تقدم بها اليها ، اثر خلاف نشأ بين والدها وخطيبها على امتلاك قطعة أرض معينة ؟ • علما بأن صاحب الشبكة يروج عنها اشاعات تبعد كل من يتقدم اليها لزوجها •

● السائلة هنا تسال أربعة أسئلة : تسال عن تأثير السحر فى الانسان •• وعن اثر الشيطان والجان فى ابعاد الانسان عن التقرب الى الله بالصلاة •• وعن مستقبل زواجها وهى فى حالتها النفسية الراهنة •• وعن عدم رد ابيها الشبكة لخطيب لها فسخ خطبتها لخلاف بينه وبين والدها •

وكان يمكن ان تسال أكثر من ذلك لأن أسئلتها جميعا تصدر عن حالة نفسية معينة • وهى حالة سيطرة الوهم عليها ، بسبب حرصها الشديد على أمل لها لم يتحقق بعد •

وربما تكون هذه الحالة قد طرأت عليها منذ ان فسخ خطيبها السابق خطبتها بعد اربع سنوات مرت على خطبته لها • فقد عاشت اربع سنوات فى صراع نفسى عنيف بين ابيها وخطيبها ، بسبب اختلافهما على امتلاك قطعة

الأرض المتنازع عليها • وكانت تعيش بين الرجاء فى انتهاء الصراع بحيث لا يؤثر على علاقة خطيبها بها وبين خيبة الأمل فى انتهائه الى ما صار اليه من فسخ الخطبة والمطالبة برد الشبكة •

وبما انتهى اليه النزاع صدمت نفسيا ولم تستطع ان تقاوم هذه الصدمة فخضعت لتأثيرها واصبحت تفكر فى مستقبلها وهى فى هذه السن • وتحاول ان تجد الطريق الى هذا المستقبل •

فتسال مرة عن السحر وتأثيره • لا لتعرف فحسب تأثيره على المريض وانما لتقف على مدى تأثيره بوجه عام فى مستقبل الانسان وحياته •

وتسال عن الخطيب الجديد هل توافق والديها على الزواج به وترضى عندئذ بالأمر الواقع ؟ لانه ربما لم يبلغ فى تصورهما وفى نفسها منزلة الخطيب السابق •

وتسال عن رد الشبكة الى خطيبها السابق • ربما يكون فى الموافقة على ردها اليه ما يفتح له الباب مرة أخرى لطلب يدها • أو على الأقل ما يحول دون ترويج الاشاعات ضدها • وبذلك تزول عقبة فى طريق مستقبلها •

فالبنت اذا كانت فى سن السادسة عشرة من عمرها تملى شروطها على من يتقدم اليها • فاذا بلغت العشرين تسعى الى أن تكون هى موضع الرضاء لمن يأتى لطلبها • فاذا بلغت الخامسة والعشرين أو اقتربت من هذه السن باتت يراودها الشك فى وجود رجل يشاركها فى بناء الاسرة ، ويمكنها من الامومة التى تحرك المرأة كأهم هدف فى حياتها •

● فالحالة النفسية للسائلة هى خشيتها أن تفقد أملها فى تكوين أسرة ، وفى أن تكون أما يوما ما • وفى نفسها صراع من أجل تحقيق هذا الأمل • وفى الوقت نفسه يتملكها أسف شديد على ما انتهى اليه وضعها الذى كاد يحقق لها ما تصبو اليه نفس كل بنت وكل امرأة •

وما يعترىها الآن من ألم جسمى هو ولا شك أثر من آثار الصراع النفسى لديها • ويوم ان اعتقدت ان الساحرة حرقت بعض ما يتعلق بها من اشياء : اطمأنت نفسيا الى ان الجن أو الشيطان قد رلى وانصرف عنها • وبذلك احست بهدوء جسمها وبعد الألم عنه • ولكن عندما يتحرك الصراع الداخلى من جديد يعاودها الوهم فى الألم • وكذلك عندما تنتهى المدة التى حددتها الساحرة لحس فى وهم منها : أنها تتألم وأنها فى حالة مرض أيضا • أما عدم

استطاعتها التحرك الى صلاة العصر والمغرب والعشاء ، والنطق بذكر الله فيمثل فترة من فترات اليأس وفقدان الأمل في قدرة المولى جل جلاله ، وشأنها في ذلك كشأن من يقدم على الانتحار يأسا من معاونة الله له في انقاذه من أزمته أو أزماته .

● أما من يعتقد تأثير السحر ، أو تأثير الجان في محيط المخلوقات، فكمن يعتقد الشرك بالله سبحانه . فاشرك بالله هو اعتقاد المشرك أن لله ندا في الكون يشاركه في الفعل وفي مصير الانسان . ووحدة الألوهية هي الاعتقاد في الله دون ما سواه . فهو الخالق وحده . وهو القادر وحده . . . واليه مصير الوجود والانسان وحده .

وفي مسألة الشبكة . . فواد المريضة يجب أن يرد لها الى خطيب ابنته السابق . . . والامتناع عن ردها اليه كعقوبة على فسخ الخطبة بعد طول أجل لها ، يمثل سلوكا لا يقره الاسلام . كيف تقر عين الوالد بامسك الشبكة بعد هذا النزاع الطويل ، الا اذا كان انتقاما من خصمه فيه . وعندئذ يكون قد اعتدى عليه .

على السائلة ان تطمئن الى الله في ايمانها وفي حل أزمته . وعليها ان تقبل خطيبها الجديد . فربما يكون القدر قد ساقه اليها علاجا لأزمته الحاضرة .

١٥١ - العاطفة وسيطرتها في الإغراء على المرأة :

هاتان مشكلتان لفتاتين في سن واحدة تقريبا ، واحدى المشكلتين تعكس الأثر الذي يتخوف منه في المشكلة الأخرى .

● فتاة من احدى المحافظات . تقص :

انها جامعية ، وانها متدينة ، وعلى صلة حب كبير لله ولرسوله ، وانها لها اخوة واخوات من الذكور والاناث، ولها زملاء وزميلات في الدراسة وتعامل الجميع بكل ادب اسلامي . اى انها لا تتأثر بعواطف خاصة ، عندما ترى نكورا أو تتحدث اليهم . ولكن تقول :

« عندما اشاهد افلام التلفزيون ، وما فيها من مشاهد عاطفية مثيرة ، او اسمع حوار تمثيل عاطفي بين رجل وامرأة ، لا اقوى على مقاومة الخيال ،

ولا يكون عندي ارادة لعمل أى شيء • وأظل هيمنة سرحانة لايام متلاحقة : لا استطيع القيام بالصلاة ولا المذاكرة ولا افكر فى نكر الله ، ويستولى على هبوط فى الارادة وخفوق فى عمس أى شيء مفيد • وبذلك اضيع الصلاة وثوابها ، واضيع الرفق • ولا استطيع المذاكرة ، مما يصيبى بالاخفاق فى مسايرة الحياة الطبيعية » •• وقسال :

هل تقول الله تعالى : « وقل للمؤمنات يخضعن من أبصارهن » (١) ••
ينطبق على هنا ، مما يعطى اركى نفسى ، واقاطع مشاهدة التلفزيون ؟

•• وقتاة من محافظة أخرى وقد تخرجت من مدرسة التمريض يقول عنها خطيبها - نى سن الثامنة والعشرين من العمر - ومتطوع بالقوات المسلحة :

« وجدتها على أخلاق عالية ، وحسن السير والسلوك ، وتوكلت على الله وخلاقتها وتقدمت الخيبة بعد موافقتها • وكانت تطيعنى فى كل شيء • وكانت لا تصلى واقتنعها بالصلاة • وبدأت الصلاة فعلا والحمد لله • تلك أثناء وجودها فى السنة النهائية • « ولكن فوجئت بعد خروجها ، واستلامها العمل بتغيير كبير جداً ، وعدولها عن الصلاة ، وبدأت تلبس لبسا غير لائق ، ولا تقتنع بكلامي ، وتعارضنى فى كل الاحوال • واصبحت تلمزنى بأدب فتاة شابة ويجب أن تعيش مثل باقى الفتيات زميلاتها • وكأنت تصدنى بالتبهرج فى اللابس مثل باقى الشباب » •• ولم يفلح معها الانتاع اطلاقا • ويقول انه حيران من جهتها ، ويحتاج الى فتاة تحفظ شرفه وكرامته • ويسأل عن حل لهذه المشكلة وكيف يواجه أباهما عندما نقول له : اتركها ؟ ، وبماذا يتنعم والديها ؟

•• انفتاة الاولى تصور أثر المشاهد العاطفية فى التمثيل والحوار عليها . فى ارسال التليفزيون • وان هذه المشاهد تهزها هزا عنيفا بحيث لا تستطيع ان تستأنف حياتها التى اختارتها لنفسها • وهى الحياة التى رهبنتها للعلم والمعرفة ، ولعبادة الله ، واتباع تعاليم دينه فى العمل والسلوك • وانما تجمدها على الأزل لايام متلاحقة • وفى هذه الايام المتلاحقة تقارم هزات هذه المشاهد على نفسها وتسأل عن تأييد ما تراه علاجاً فى المستقبل لحالتها : من مقاطعة هذه المشاهد ، بالامتناع عن استخدام التليفزيون نهائيا •

(١) النور : ٣١ •

● **والفتاة الثانية** - كما يحكى خطيبها عنها - تحولت من اتجاه كانت عليه وهى طالبة فى مدرسة التمريض ، وهو اتجاه الفتاة التى تحرص على الاستقامة فى ظل عادات المجتمع الإسلامى وتقاليدِهِ - الى وضع آخر مناقض لما كانت عليه بعد ان تخرجت واصبحت تعمل واستقلت بذلك اقتصاديا عن عائل لها : زوج أو غير زوج . والوضع الجديد الذى تحولت اليه : ان تكون فتاة « حرة » تعيش كما تعيش زميلاتها ، فى الملابس ، والتزين ، والاختلاط ، والخروج الى العمل . وحريتها تعنى بالنسبة اليها ان ترفض القيود التى قبلتها بالأمس . وهى عادات المجتمع . فأصبحت ترى فى الصلاة ما ينفرها من مباشرتها . لانها لو تودى هذه العبادة لعزلت نفسها عن زميلاتها ، وهى تريد ان تعيش كما يعيشن . وحريتها تعنى بالنسبة لها كذلك : ان توجه خطيبها الى مسابرة الشباب اليوم فى اللبس وتنصحها على حد تعبيره : بالتبهرج فى اللبس . فالماضى يجب أن ينقطع . والتطلع يجب أن يتركز نحو « اليوم » ونحو الغد .. » .

وإذا كانت الفتاة الأولى تقاوم طغيان المادية وموجة المظاهر فى الحياة الاجتماعية التى تدفع بها المادية موجة ، بعد أخرى .. فتطلب عدم استخدام التليفزيون .. فالفتاة الثانية لم تستطع المقاومة ايها . بل استسلمت لها واستمراتها ، واصبحت تدعو غيرها - وهو خطيبها الذى كان بالامس صاحب الكلمة عليها - الى ان يكون عصريا كشباب الساعة .. وتحولها على هذا النحو ، بخضوعها الى المظاهر المادية سيفرق حتما اليوم أو غدا ، بينها وبين خطيبها ، على كره من ارادتها . اذ الفجوة بينهما تزداد اتساعا بمرور الزمن ، ويتأثر فتاته ، وافتتانها بمظاهر الحياة المعاصرة . وهى مظاهر الصخب .. والألوان الزاهية .. والانطلاق فى الاستمتاع بمتعها المغرية .. وبحرية الخروج .. وبالاستقلال فى الاقتصاد والانفاق .

● **والآية التى تسأل الفتاة الأولى عن مدى تطبيقها على مشاهد التليفزيون وهى قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » (١) .** فان الكثير من المشاهد العاطفية اتى ترسل عن طريق التليفزيون يجب على الرجال ان يغضوا من ابصارهم عنها لقول الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » (٢) . كما يجب على النساء أيضا أن يغضضن من أبصارهن عنها اتباعا أيضا لقوله سبحانه : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » . لأن غض البصر عن هذه المشاهد العاطفية المثيرة هو سبيل المؤمن لازالة المنكر ، طالما اصحاب الولاية على التليفزيون لا يزِيلونه بأيديهم بحكم ولايتهم

ومسئوليتهم عنه • فهذه المشاهد العاطفية منكر لا شك فيه فى بلد اسلامى
فهى من اسباب الانحراف ، ومن المصادر الرئيسية لترويج ما يسمى بثورة
التحرير للمرأة •

● الفتاة الأولى يجب أن يزداد ايمانها بتقواها ، ولا تأسى على شىء
يفوتها مما يعرض فى هذه المشاهد العاطفية ، ففوق أنها مشاهد ملفقة ،
ومصنوعة ولا تصور الحياة الانسانية الكريمة ، فالبعد عنها يقى الانسان من
تصورات كثيرة تضره اليوم وغدا •

أما خطيب الفتاة الثانية • فالفتاة ستتركه لا محالة قبل الزواج بها ،
أو بعده • والعاقل هو من يدرك الضرر عنه قبل وقوعه •

١٥٢ - الحضارة المادية • والقيم الانسانية :

تذكر احدى الآنسات من محافظة القاهرة :

انها فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ، وتريد أن تسير فى حياتها
وسلوكلها طبقا لما يأمر به الدين ، ولكنها تخشى أن يسخر منها الناس ،
وبالأخص جيرانها • فهم على مستوى فى المعيشة أعلى من مستوى اسرتها :
فى الملابس ، والمآكل ، وقد وهب الله بناتهم مسحة من الجمال • وفى الوقت
نفسه كان يرى هؤلاء الجيران ما يصنعه أبوها بأمها • فإذا ضحكت معها
لأمر ما حاسبها حسابا عسيرا ويصق فى وجه والدتها امام أعينهم • ومن أجل
ذلك تشعر بضالة نفسها ، وانها آتعتس الناس فى هذه الحياة •

ثم تستطرد فتقول : « ما رايت أحدا فيه عيب واحد وسخرت منه •
لأننى أعتقد أن الناس - أو أن الانسان ليس كاملا • ولدى احساس بالأم الناس ،
وأحزن لحزنهم وأفرح لفرحهم • ولست أنانية : لا أطلب شيئا من هذه الدنيا ،
وليست لى أمنية مثل باقى بنات جنسى ، لأننى أريد أن أعيش لمحبة الناس •

ولكن الناس فى هذه الأيام لا تهتم الا بالمظاهر والشياكة والمصلحة
فقط • لا تحترم من عنده اخلاق • بل تحترم الناس ذات الاخلاق الفاسدة
فلماذا ؟ • فما ذنبى اننى جئت الى هذه الحياة لا أعرف الكذب أو اللوع ،
أو مخالطة الناس والفسح ، ومخالطة الشباب • الناس يقولون عنى : اننى
عبيطة لأننى آتكلم بنية طيبة لا يعرفون ما بقلبى • فانى الآن أكره الناس ••

واكره نفسى ٠٠ واكره الحياة وأقول : لماذا خلقتنى الله فى هذا العصر ؟ ٠٠
الذى لا يرحم ، ولا ترحم الناس بعضها البعض » ٠٠

ثم توجه الرجاء الى من يجيب على سؤالها بقولها : استحلفك بالله ان
ترشدنى عن الطريق الى الله ، والطريق الذى احس رضا الناس ، ورضا الله
ورضا نفسى ٠٠ طريق الجنة » ٠٠

● السائلة هنا تصف الجو النفسى والمادى الذى تعيش فيه . وهو
جو يوحى بالكآبة واليأس من الحياة ، كما تذكر . فهى لا تملك القدرة على
أن تجارى الأخريات فى سننها : فى الملابس ، والشياكة ، والخروج مع الشبان
للنزهة والفسح . كما لا تملك جمال الخلقة الذى يعينها على أن تلتفت نظير
الرجال اليها . ولذلك هى حزينة فى نفسها ، مع انها لا تضمر شرا للآخرين
فى المجتمع .

وتصف كذلك الجو النفسى والمادى الذى تعيش فيه الأخريات من عمرها
وهو جو المظاهر الخادعة ٠٠ والشياكة فى الملابس والتجميل ٠٠ والمصلحة
فقط ٠٠ والاخلاقية فى السلوك ٠٠ هو جو الاختلاط ، والعبث عن طريقه ٠٠
هو جو الكذب والخداع ٠٠

ولاختلاف الجو الذى تعيش فيه والجو الآخر الذى يعيش فيه الأخريات
يرميها بعض الناس بالعبث . لأنها لم تزل تعيش فى جوها ، ولم تنتقل بعد
الى جو الأخريات : جو العبث والاغراء ، والكذب ، والخداع ، والمرح ،
والضحك .

ولأنها لم تعد تحتتمل اختلاف الجو كرهت نفسها وكرهت الناس كذلك ،
وتسائل نفسها : لماذا خلقها الله فى هذا العصر ؟ وهو عصر لا يرحم من يخالف
اتجاهاته ولا ترحم الناس فيه بعضها البعض .

● والعصر الذى تصفه السائلة اليوم بأنه لا يرحم من يخالف
اتجاهاته ، هو عصر طغيان المادية على القيم الانسانية التى جاءت رسالة
الاسلام لرفع شأنها بين الناس ٠٠ طغيان المادية : بالمال ، وفى سبيل المال
يستشرى الفساد والعبث والفساد عن طريقه . ولماذا لا تسعى السائلة الى
المال كما تسعى الأخريات ؟ لأن الميل الى الاستقامة متمكن منها .

فياسها بسبب المال : لا تمنكه ، ومن العسير عليها ان تحصله . وابوها
يحقرها ويحقر والدتها أمام الجيران الموسرين ، الى درجة ان يبصق فى وجه

أما لو ضحكت لأمر ما • والناس لا يحترمون - كما تقول - إلا صاحبات
الأخلاق العابثة ويغضون النظر عن اللاتي لا يعرفن الكذب والخداع •

والفجوة الواسعة بين مستوى السائلة ومستوى الأخريات من الجيران
يجعلها مترددة في أن تلتزم السلوك الديني المهذب • إذ تخشى من التزامها
إياه زيادة السخرية منهن لها • لأن الفجوة عندئذ ستزداد اتساعاً بينها
وبينهن •

● هي فتاة لها ميل ديني : ترغب في السلوك المهذب ، والبعد عن
المظاهر الكاذبة والخادعة • ولكنها بسبب عوامل خارجة عن إرادتها ،
لا تستطيع أن تستجيب لهذا الميل عندها كما تريد • وهذه العوامل الخارجة :
ما يحيط بها من جو السخرية منها ومن هنا تولد الصراع النفسي لديها : فهي
لا تستطيع أن تكون مثل واحدة منهن ولا تستطيع أيضاً أن تظل بعيدة عنهن ،
دون أن ينالها أذى منهن • ونشأ عن هذا الصراع اتجاهها نحو « اليأس »
من الحياة ، بدلا من أن تنشأ عنه لديها : روح « المقاومة » ضد المظاهر
المادية السائدة • فالصراع بين طرفين متناقضين أو متقابلين ، يمكن في
النهاية أن يتجه إلى هذا الطرف أو إلى ذلك الطرف الآخر المقابل له • فإذا
اتجه صراع السائلة نحو اليأس من الحياة فقد أتجه إلى الجانب السلبي •
وذلك يدل على ضعف المقاومة عندها •

والسائلة يجب أن تعرف أنها تعيش الآن بين : الله • والشيطان •
والشيطان له غوايته ، وله طرقه نحو هذه الغواية • ومن هذه الطرق : حمل
الشبان والشابات على المظاهر الخادعة ، والسلوك الملائم الأخلاقي ، والوقوع
تحت أغراء المال • وإن السائلة إذا قاومت طرق الشيطان بعزم أكيد وإرادة
قوية ، فإنها ستنتجح في الوصول إلى هداية الله •

● والتمسك بهداية الله يزيد من مقاومة قوى الإنسان ، ومقاومة شهوته •
وهوى أى إنسان وشهوته يتمثلان في الوسواس التي تصول وتجول في خاطر
الإنسان • وهذه الوسواس هي من عمل الشيطان • أو هي الشيطان بنفسه •

وما كانت عبادة الصوم إلا لضعاف وسواس الشهوة عند الصائم •
وما كانت عبادة الزكاة إلا لضعاف سلطان المال واغرائه عند صاحب
المال • وما كانت عبادة الصلاة إلا للنجاة من الوقوع في محيط الشيطان •
من المصلين •

يجب على السائلة أن تسلك طريقها الذي اختارته في حياتها ، وأن
لا تعبأ بسخرية من يسخر منها • فمن يسخر من الآخرين يفعل ذلك للتدليل

على وجوده وعلى صلاحيته للحياة • وهو أصلا غير موجود وغير صالح للحياة • لأن من تسخره رياح الشهوات لا يعرف مكانه ولا مقامه ، فى الوجود •• وفى الحياة معا •

وأول عامل من عوامل نجاح الانسان فى حياته هو ثباته • وثباته مرهون بمدى صبره على الأذى من المعارضين • وقد عاش رسول الله ﷺ بمكة وصبر على إيذاء المعارضين له والساخرين منه ، وهم الزعماء وأرباب السطوة والسيادة فيها • وكان صبره هو السبيل الى نجاحه ضد أعدائه ، عندما عاد من مهجره بالمدينة الى مكة ، لا يدانيه فى السيادة عليها أحد •

١٥٣ - الزى الاسلامى •• والسفور :

كتبت أنسة من القاهرة •• تذكر :

اذما كانت تحمل مضيئة بأحد الفنادق الكبرى • ولكنها استقلت ، وبعد شهرين من تركها العمل ارتدت الزى الاسلامى ، وتحجبت • وتقول : « ان ذلك تم عن اقتناع تام ، وبدون ارغام أحد لها عليه • بل حدث العكس - هكذا تقول - لقد سخرؤا منها جميعا ، وتملؤا بأسباب جاهلية • وهى : انها لمن تستطيع الزواج •• وانها مازالت صغيرة • ولكنها لم تكثر ولم تبال بهم ، وبأقوالهم هذه • وهى الآن قاربت العام على ارتدائها هذا اللباس الاسلامى » ••

ولها مشكلة الآن • وهى ان ما كانت تدخره نقد • وهى تحتاج الآن الى مال تسهم به فى بناء مستقبلها مع من يتقدم لمزواجها • ورغم ان والديها من الأثرياء فانها تؤثر ان تساعد نفسها بذاتها دون ان تكون عالة على غيرها •

وقد اشار عليها بعض صديقاتها بالعودة الى عملها الأول • وهذا ممكن ان تستأنبه • وأكن طبعا بشروط بالسفور وعدم الحجاب • ويبررن ما يشرن به لاتناعها بمشورتهم : ان الله رب قلوب ، وليس رب مظاهر •• وان الدين يسر ، لا عسر • وإكذبها تخشى عذاب الله وغضبه • فهذا الزى - كما تقول - « شرح الله ، والله قد أمر به » •

⑤ السائلة تضع نفسها الآن فى التمييز بين الاحتفاظ بما تسميه الزى الاسلامى - وهو ذلك الزى الذى لا يظهر منها الا الوجه والكفين ، كما لا

يجسم بدنها ويبرز منه مفاته - وبين السعى الى المال وادخاره للمستقبل ،
عن طريق العمل خارج المنزل ، فى خدمة النزلاء بالفندق •

وهى تذكر أيضا من قبل : انها ليست هذا الزى بعد استقالتها من
العمل بالفندق ، عن اقتناع تام به ، دون ان يكرها أو يلزمها احد به ، وأن
والديها من الأثرياء جدا •

كيف كانت مقتنعة بارتداء هذا الزى •• ثم الآن تحاول أن تقنع نفسها
بمشورة بعض صديقاتها بالعودة الى العمل فى الفندق ، والرجوع الى
السفور وعدم التحجب ؟ •

وكيف يكون ابواها من الأثرياء - وهى انن ليست فى حاجة الى المال
- وفى الوقت نفسه تخرج الى العمل فى خدمة النزلاء فى فندق من الفنادق
الكبيرة لجمع المال وادخاره للمستقبل ؟ •

وكيف تخشى عذاب الله وغضبه ، ان هى أقدمت على السفور وترك
الحجاب ، دون أن يكون هناك من ضرورات الحياة ما يدفعها الى الاحساس
بالخشية من عذاب الله وغضبه ؟ والى قبول الميراث من أن الله يب القلوب
وليس رب المظاهر •• ومن أن الدين يسر ، لا عسر •• ومن أن العودة الى العمل
فى الفندق لا ينطوى على خطأ يخرج به عن خط الشريعة الاسلامية ؟ •

● ان تحجب المرأة فى الاسلام يعنى عدم اختلاطها بالأجانب عنها من
الرجال ، كما يعنى أنها اذا خرجت من منزلها تخرج غير متبرجة تلتفت
بتبرجها ابصار الرجال اليها • ومن تبرج المرأة اظهار مفاتن البدن عن طريق
تحديد اللباس له ، أو عن طريق الكشف عما يجب ستره منه • وما يجب
ستره هو ما عدا الوجه والكفين •

وسفور المرأة يعنى اختلاطها بالأجانب عنها من الرجال : فى الحديث •
والنظرات ولحركات •• يعنى أنه ليس هناك حرج عليها فى اشتراك المرأة
فى الحديث •• أو فى الحوار ، أو فى المناقشة مع الرجل غير ذى محرم
لها •• وأنه ليس هناك حرج فى أن تبادل للراءة للنظرات مع غير المحارم
لها من الرجال •• وأنه ليس هناك حرج فى الذهاب والاياب أمام هؤلاء
الرجال أو بينهم •

اذا كانت السائلة مقتنعة بحجاب المرأة أو بتحجبها ، كيف تبيع لنفسها
الاختلاط بغير المحارم لها من الرجال من أجل المال ، عند قبول العمل كمضيفة
فى أحد الفنادق ؟ • ما هو عمل المضيفة هناك فى الفندق ؟ • ليس هو تقديم

الخدمات للنزلاء والنزيلات فيه ؟ • وليس تقديم الخدمات لمن فى الفندق فى صالته أو فى غرفه ، ينطوى على الاختلاط ؟ ففى سبيل المال وفى السعى الى جمعه وادخاره من غير ضرورة اليه ، تعود الى السفر والاختلاط بالأجانب عنها ؟ • ان الغاية هنا ، وهو الحصول على المال وادخاره ومن غير ضرورة اليه ، لا تبرر الوسيلة وهى الاختلاط بالرجال غير المحارم • فالغاية اذا كانت مباحة هنا فالاختلاط فى سبيلها غير مباح •

وفى التبرير يقول بعض صديقاتها : ان الله رب القلوب ، وليس رب المظاهر ••• هذا صحيح • ولكن السفر أو الحجاب ليس مظهرا من المظاهر • انه فعل وعمل من أعمال الانسان ، يثاب أو يعاقب عليه • فالسفر طريق لما يعاقب الله عليه • اذ هو طريق الى الغواية ، والاثارة ، والمهانة • والحجاب طريق يثيب الله عليه • لأنه طريق الى تكريم المرأة وابعادها عن أن تكون مصدر فتنة للرجال •

كما يقلن أيضا : ان الدين يسر ، لا عسر • وهذا صحيح كذلك • ولكن معناه : أن الدين لا يطلب من الانسان : ما يضره فى صحته •• أو فى نفسه •• أو فى عقله •• فما يأمر به الانسان قد يتخلى الانسان عن بعضه لفترة من الفترات ، أو لسبب من الأسباب ، اذا كانت هناك ضرورة الى ذلك • والرخصة فى الاسلام مبدأ من مبادئه • فالدين لا يتشدد فى التنفيذ حتى اذا كان فيه هلاك المنفذ • ولكن الخروج من الاستقامة الى الانحراف ليس خروجا من العسر الى اليسر • فلا الاستقامة عسرا ، ولا الانحراف يسرا • وانما الاستقامة كتجب المرأة هنا - ضرورة اجتماعية لصالح المجتمع نفسه • وهو صيانته من الأمراض الاجتماعية التى يسببها الاختلاط ، على نحو ما هو شائع فى المجتمعات المعاصرة • والسفر بالتالى ليس يسرا للمرأة • وانما هو طريق سهل نعلا للمرأة ، ولكن الى التردى فى الانحراف والعبث والمأسى •

وكما يقلن كذلك فى مشورتهم لها : ان العمل فى الفندق لا يخرج عن خط الشريعة الاسلامية • ويجب أن يعرفن : أن العمل اذا جر الى فساد ، كما يجر هنا الى الاختلاط ، فانه يأخذ حكم ما يجر اليه • واذا كان اختلاط المرأة بالرجل الأجنبى عنفا لا يتوون به الاسلام ولا يقبله ، فالوسيلة التى توصل اليه لا يقبلها كذلك •

ن ان العدل الصالح ، والخير ، والمستقيم لا يقبله الله الا اذا كان صادرا من دهر بالاسلام • وبشارة ايمان المؤمن ثباته عند ايمانه ، وعند ما يأتي من نتائج هذا الايمان فى أعمال الانسان • والتحجب للمرأة بمعنى عدم الاختلاط بغير محرم لها •• وبمعنى عدم الاثارة للرجال عن طريق اللبس ،

أو الحركة ، أو التبرج ، نوع من الوقاية للمجتمع من الأضرار النفسية والعصبية ، والاجتماعية التي يخلفها الاختلاط . وهو أيضا عامل من عوامل دفع المجتمع الى العمل الجاد فى الحياة ، والى التفكير السليم فى أداء الواجب .

ليس لله مصلحة فى أن تتفسخ المرأة عن طريق الاختلاط أو ما يسمى بالسفور . وليس له مصلحة كذلك فى أن تستقيم المرأة وتتقى العيب ، عن طريق التحجب أو عن عدم السفور . وإنما المصلحة هى للمرأة وللرجل معها ، ثم للمجتمع بعدهما .

ان الدعوة الى سفور المرأة هى جزء رئيسى فى « ثورة تحريرها » . اذ هو المفتاح لى الخروج الى العمل فى الدواوين الحكومية أو فى مكاتب الشركات ، والى الاستقلال الاقتصادى للمرأة عن طريق عملها الخارجى . وبالتالي الى تفكك الأسرة واضعاف العلاقات الأسرية والزوجية ، والى شيوع الروابط الجنسية فى غير ضابط الا ضابط الاستمتاع وتحصيل المتعة الوقتية فيما بين الرجل والمرأة .

❁ ولا نقتنع ونحن نجيب على سؤال السائلة هنا بأنها كانت مقتنعة بالمزى الاسلامى ، عندما لبسته . فمن يقتنع بأمر جوهرى فى حياته لا يهتز ايمانه به ، عندما تحركه الرياح العاصفة لتخلع جذوره من النفوس . وهى رياح السخرية ، والتهكم والنقد المستمر ، ولا عندما تحاول المغريات أن تجذبه اليها ، وهى مغريات المال ، أو اعجاب الرجال وثناؤهم .

والامر واضح لديها الآن . فطاعة الله فى أن تبعد المرأة نفسها عن مزالق التردى والانحراف ، بالاختلاط . وطاعة الشيطان فى أن تدع نفسها لاغرائه وخذاعه . وعندئذ لا تسال : أين هى اليوم . ولا أين ستكون غدا ، طالما يستهويها : المال ، واتباع مودة الأزياء والتجميل ، والتقلب بين يدى الرجال .

١٥٤ - رذائل المسوء :

شاب باحدى المدارس الثانوية يتص قصته مع زميل له فى مقعد الدراسة فيقول :

انه موثق فى دراسته ، ولم يتألف فيها مرة واحدة . ولكن فى هذا العام جالس بجواره زميل له استضعفه . وافترق فرصة انه تغيب بعض الأيام

بسبب مرض جسمي - كما يعبر السائل - وعندما عاد الى المدرسة اخذ زميله هذا : ينظر اليه نظرات احتقار واتهام ، ويساله أسئلة يحاول بها أن يفقده الثقة في نفسه ، ويحدثه كثيرا عن اللهو والعبث ، مما اثر فعلا على توازنه . . . ويسأل :

انه يريد أن يتعد عنه ويدفع عن نفسه سوءه ، ويعيد اليها الثقة ياش .
فهل يخاصمه . . . والرسول عليه السلام ينهى عن الخصام في قوله : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » ؟ . . . ما هو الحل لهذه المشكلة الصعبة ؟ .

● ان رفيق السوء مهياً من الجانب النفسى بعدة صفات :

اولاها : انه صفيق ، وبليد الحس ، فهو يحتل ما يوجه اليه من اهانة، ويتأبر في سبيل الاستيلاء على فريسته .

ثانيتها : انه متخلف عن أقرانه فيما يشاركونه نيه من دراسة أو من عمل .
ومن أجل ذلك يحاول أن يحطم كل من يتفوق عليه ، فحقده يملك عليه زمام أمره .

ثالثها : انه يباشر الموبقات ، ويأتي المنكر ، في جراءة وفي غير حياء ، كى يغطي بجرائته في ارتكاب التبيح والسوء ، على فشله وتخلفه . ومن يباشر الموبقات والمنكر في غير حياء ، لا يكون له خلق فاضل اطلاقاً ولا مبدأ انساني يرتبط به مع غيره . انه يمثل الشيطان بين رفقائه . يختار الضعيف . . . فالضعيف بينهم . . . ويوسوس له بالسوء : فيكذب . . . ويغري باكاذيبه ، ويخدع بها ، حتى يزداد الضعيف ضعفاً فاذا أخرج هذا الضعيف عن خط الاستقامة في السلوك . . . وعن طريق التفوق في دراسته أو في عمله : تحققت غاية رفيق السوء ، بأن أصبح وهو في السوء ولقبح سواء .

● وزميل السائل في ادرسة الثانوية مزمل بهذه الصفات كلها .
فيوحى له بسبب مرضه وانقطاعه خمسة أيام عن الدراسة : بما يفهمه انه غير مؤهل للجلوس الآن مع زملائه في المدرسة ، بعد هذا المرض ، ويكذب في نقله عن زملائه : رغبتهم في تجنب عشرته . وبذلك يتدبىء هذا السائل يحس : بأنه معزول وغير مرغوب فيه . . . وهذا الاحساس وحده هو احساس كفيل بأن يهزه ويقلقه ، ويفقده الثقة في نفسه .

ثم يضيف رفيق السوء الى اضطراب زميله الضحية : اغراءه على البحث والافساد ، بأحاديثه المكتوبة التي يروى بها قصصا لم تقع . ولكنها

من الخيال المعسول • ونفس الشاب فى مرحلة المراهقة تتأثر كثيرا بالقصص الغرامية ، والمغامرات بين الجنسين •

● واختمىذ السائل يتحرج من مخاصمة رفيق السوء فى جواره فى الفصل ، اتباعا لقول الرسول عليه السلام : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » •• لكن يجب أن يفهم : أن حديث رسول الله عليه السلام خاص بمن هو مسلم •• أى بمن هو يتبع ويطيع تعاليم الاسلام • وهذا الرفيق السىء هو مسلم بالاسم أو بالبيئة فقط ولكنه فى حقيقته : شيطان وتلميذ لابليس • فهو منكر فى ذاته • ويجب الابتعاد عنه نفسيا • لمن يريد أن يقى نفسه سوءه ، وضلاله • والابتعاد النفسى هو عدم الاهتمام به فى صورة ما •

فالمسلم لا ينبغى له أن يهجر أخا مسلما : فى الايمان •• والسلوك •• والالتزام بأداء الواجبات والمسئوليات • فهل رفيق السوء هذا مسلما ، بمعنى أن يسلم الناس من ايداء يده ولسانه ؟ أم ان ايداءه للآخرين باليد واللسان قائم بالفعل ؟ والسائل واحد من الذين يؤذون بلسانه ؟ •

والسائل ان استطاع أن يترك الفصل الذى يزامل فيه رفيق السوء ، وينتقل الى فصل آخر لا يراه فيه : يكون قد فعل الأفضل لنفسه • لأنه سيتجنبه فى المكان وقت الدروس على الأقل فى المدرسة ، ثم لا يراه بقية اليوم ، لوجوده فى منزله •

ان رفقاء السوء فى المدرسة •• وفى العمل •• وفى الجوار •• وفى المعاملات •• ابتلاء من الله ، وبلاء فى الوقت نفسه • ولذا على المخالط لهم أن يصبر فى الوقت الذى يتقى شرهم : وليس اتقاء شرهم بالخصام • وانما بالانصراف النفسى عنهم ، وانزهد فى الجوار والحديث معهم • والصبر المطلوب هو عدم الانفعال بما يصدر عنهم من عبث وترك مجالستهم حتى يتوذكروا فى حديث اخر ، لنظم بالله ما كانوا رفقاء فمن الصعب - عند اتقاء شرهم - انما يتم حديث يصبر على اتقاء شرهم •

وعلى السائل أن يستمر فى صلاته بأتمه ، عن طريق أداء العبادات ، والقيام بالواجبات التى عليه •• وأن يتجاهل ذلك الرفيق السىء : أن أنزل بجرته ما ، أو قوله بكلمة ما ، أو استوسل به •• والى ذلك •• ان دروسه بالمذاكرة والمراجعة • وبذلك ينسى اتقاء شره • وعلى أنذله •• وأن يهوى الى أداء ما •

طالبة فى الثانوية العامة بحدى المحافظات تقول :

لها صديقة معها فى الثانوية العامة أيضا ، من اسنة الأولى الإعدادية، وكانت هذه الصديقة تتبادل نظرات الحب والاعجاب مع طالب معها منذ خمس سنوات الآن . . أى منذ السنة الأولى الإعدادية كذلك . فالمدرسة مشتركة بين البنين والبنات .

وبعد مضى هذه المدة أراد الطالب أن يخطو خطوة أخرى الى الأمام فى علاقته بهذه الصديقة ، فقد قرب الانتهاء من الدراسة الثانوية ، التى كانت تجمع الشمل . فرجا الطالبة التى تتحدث الآن فى أن تمكن صديقتها من مقابلته . وفعلا تم لقاء أول . . ثم ثان بعد الانصراف من المدرسة فى كل مرة ، فى الطريق الى المنزل . وتستطرد فتذكر : انها كانت دعها فى كل مرة التقيا فيها . . وأن الحديث بينهما كان عن المستقبل . . وعن دخول الكلية فى الجامعة بعد النجاح فى الثانوية . . وفى المرة الثانية تعاهدا على أن لا يخون احدهما الآخر . . وان لا ينسى بعضهما بعضا .

ثم تعلق فتقول : انها طالبة مسلمة . . وانها ترتدى الزى الإسلامى . . كما تثنى على أخلاق الطالب ومستواه فى الأسرة . . وعلى أخلاق صديقتها وعلى أسرتهما المثقفة .

وفى نهاية الرسالة : تعترف بأن ضميرها يعذبها ويؤلمها . . وتسال عن رأى الدين فى هذا العمل . . أى فيما فعلته من الوساطة بين الشباب والشابة . . وبالأخص : اذها رفضت طلبها ثالثا للشباب فى أن يقابل محبوبته المألوبة ، حرصا على مصالحةه ومستقبله .

○ هذه الطالبة المسلمة التى تتزى بالزى الاسلامى فى مدرسة مشتركة بأحدى المحافظات : كيف كانت تلتق بالطالب المعجب بصديقتها وهو شاب أجنبى عنهما . وكيف كانت تتحدث اليه . وكيف أتاحت لهما أن تكون واسطة بين شاب وشابة يريدان أن تترش العلاقة بينهما الى درجة : أن يحاهد كل منهما الآخر على عدم الخيانة . . وعدم النسيان لأى منهما من الآخر .

و يمكن أن تكون الابوة : هى جوى المدرسة المشتركة ، فجوى المدرسة المشتركة بين البنين والبنات والاعدادى والثانوى يعد لائق البنات مع الوالد . . ويمكن من الترابل بينهما وانشاء علاقات فوق الاعجاب . . وذوق الزمالة . . هى علاقات العهد بعدم الخيانة . . وعدم النسيان !

هذا الجو لا يتيح الفرصة للإسلام في أن يقتحمه ويفرض رأيه في الحلال
٠٠ وفي الحرام : في علاقات البنين وبنات هناك ، في سنن المراهقة
والشباب ٠ أى حديث عن الإسلام الآن في هذا الجو : يتناول : تحريم الاختلاط
بين الذكور والإناث ، وهو أمر قائم بالفعل ٠٠ بل وهو سائد في المدرسة ؟
لا مكان للإسلام هنا الذى يجيز رؤية الوجه والكفين فقط لغير المحارم من
الذكور والإناث ٠ فالمدرسة المشتركة اذا قامت خرج الإسلام من جوها حتما ٠

● ان الحديث بين الشباب الطالب في الثانوية العامة وصديقتة المعجب
بها ، الذى يتناول مستقبلهما ، وأحسن الكليات الجامعية التى يرغبان
الالتحاق بها اذا كان حديثا بريئا ، كما تقول السائلة ٠ أى شيء تندم عليه
الآن ٠٠ ومن أجل ذلك يعذبها ضميرها ويؤلمها ؟ ٠

هل السائلة عندما رفضت تحديد لقاء ثالث بين زميلتها والشباب الصديق
لها ، كانت تحس : أن الوضع بينهما قد دخل مرحلة أكثر قربا فى العلاقة
بينهما ؟ ٠٠ ولذا تريد الابتعاد وترفض الوساطة ؟ ٠

ان الطالبة السائلة قد عصت الله فيما باشرتة من وساطة بين صديقتها
الطالبة معها والشباب المشترك معها فى المدرسة ٠ فقد اختلطت هى بأجنبى
عنها : فى الحديث وفى الرؤية ٠٠ ونقلت الى صديقتها ما يغريها بلقاء شاب
أجنبى عنها : تتحدث اليه كما يتحدث اليها ٠ وفى أى موضوع ؟ ٠ فى
موضوع الصلة بين شباب وشابة يعيشان فترة المراهقة سويا ٠

● وقد علقنا - من قبل - على هذه المدارس المشتركة ، غير مرة ٠
فهى لا تخرج طلابا وطالبات ، شدهم التآلف والانسجام ، بعضهم الى بعض ،
كما يدعى فى أهداف هذه المدارس ٠ وانما تخرج أعدادا كثيرة من الطلاب
والطالبات ، وسعت محن الشباب ومآسيها ٠ الفجوة بين بعضهم بعضا ،
وألهبت خيالهم الجنى ، بقدر ما أضعفت فيهم روح الطموح والاستقلال
ووضعتهم فى فترة نفسية قلقة ، يخشى عليهم من آثارها ٠

● الإسلام ليس لباسا ولا زيا ٠٠ الإسلام سلوك ومواقف : سلوك
انسانى ، ومواقف انسانية ٠ فما يبعد الانسان عن الضرر المادى ، والنفسى :
له صلة قوية بالإسلام ، وما يؤذى الانسان فى بدنه ٠٠ أو نفسه ٠٠ أو
فى سمعته ٠٠ أو فى مستقبله : بعيد كل البعد عن الإسلام ٠ يعرف الانسان
فى مدى إيمانه بالله وبرسالة الرسول عليه لسلام ٠٠ بالسلوك والتصرف
وحده ٠ فهو خير تعبير عن الإيمان ٠

والاسلام اذ ينهى عن الضرر المادى ، والنفسى للانسان : فانما ينهى عن
الافتراق من مصادره قبل وقوعه .

ليس لدينا من الأسف : دراسات اجتماعية تحلل نتائج الاختلاط بين
الذكور والاناث فى الدراسة المشتركة ، واثارها السلبية على نفوس الطلاب
والطالبات اللآتى يتخرجن فيها . والاسلام اذ يرى فيها مصدر وضرر على
المرتابين لها : فانه يقدر الآثار لتجاهل الاختلاط بين الذكور والاناث . فمبدأ
منع الاختلاط هو الوقاية قبل الوقوع فى هاوية الانحراف وكوارث الضلال
والحيرة .

١٥٦ - القدين ٠٠ والسفور :

كُتبت مواطنة من احدى المحافظات ٠٠ تقول :

انها طالبة فى المرحلة الثانوية وتعرفت بشاب فى سنها ، ونشأت بينهما
علاقة طيبة طاهرة من الحب . لم يتمكن منها الشيطان . وانما العقل
والثبات . وهى علاقة الكتابة المتبادلة . لم تعرف الخروج والسير معا .
واختها الكبرى هى الوحيدة من أسرتها التى تعلم بهذه العلاقة .

والآن تسأل : هل هذه العلاقة تعتبر حراما ؟ وهل الحب الطاهر
حرام ؟ والسائلة متديفة بمعنى الكلمة .

● تتحدث السائلة وهى طالبة بمرحلة الدراسة الثانوية عن « حب
طاهر » . ما هو الحب الطاهر ؟ . حب المولى جل جلاله ؟ . حب كماله
المطلق ؟ . ليس هناك حب طاهر الا ما كان موضوعه منزها عن النقائص .
منزها عن الأهواء والشهوات . فهل نوع الحب الذى بين الطالبة والطالب فى
سسن المراهقة هو من نوع الحب الالهى ؟ . أم هو نوع من حب الانسان
للانسان ؟ . والانسان هوى وشهوة : يأكل ليعيش . ويتزوج وينسل ليعيش
بنوعه ، كما يعيش بشخصه .

والأمر الذى يحدد نوع الحب هو موضوع الحب ذاته . فطالما كان
موضوعه الانسان : فهو حب الدن . والرغبة . والهوى . والشهوة .
والعواطف . واذا كان الشيطان لم يدخله الآن بعد ، فهو على أية حال مجال
الشيطان . وسوسسته قد يدخله غداً أو بعد غد . قد يدخله توا وقد يدخله بعد

فكرة • وإذا كان الحب الآن قاصرا على الرسائل المتبادلة فقد تتجسم هذه الرسائل ، لتعبر عنه : فى اختلاط •• وفى نظرات •• وفى عواطف •

الانسان يحب الانسان • لماذا ؟ • ماذا يحب فيه : صوته •• حديثه •• شكله ووسامته •• خياله وأمانيه •• ما يملك عن مال أو حسب وجاه ••

الانسان يحب الانسان • أيظل المحب بعيدا عن الحبيب أو يسعى الى القرب منه ؟ •• أيشيع عنه بالنظرات ، أم يرصده بها فى حركاته فى المكان ، ويستعيد صورته فى الخيال ، عندما يعجز عن رصده فى أى مكان وزمان •

اليوم حب عفيف •• وغدا حب أعمى •• اليس ذلك حب الانسان للانسان ؟

اليوم حب على البعد •• وغدا حب على للقرب •• اليس ذلك من طبيعة الانسان ؟ •

اليوم حب شريف •• وغدا حب شهوة وهوى •• اليس الانسان بين يومه وغده يجمع بين المتناقضين ؟ •

•• أى بنيتى ! أنت شابة فى مقتبل العمر • أنت فى مرحلة المراهقة الآن •• وفيها من المتناقضات الكثير : تريدين أن تكونى متدينة وتريدين أن تكونى حضارية متمدينة •

تريدين أن تكونى ذات حظوة فى أسرة • وتريدين أيضا أن تكونى ذات شأن فى وظيفة ما •

تريدين أن تكونى فوق أخطاء الانسان • ولكن الطبيعة البشرية والأقدار قد تدفعك موضع الاختبار والابتلاء ، فى الأخطاء والأزمات •

ليس هناك حب ظاهر فى الوجود الانساني ، الا بقدر ما يرسمه الخيال أى الهم • هناك عند الانسان شهوة ، وهناك عنده هوى ، يدفعه نحو الشهوة • هناك ميل الانسان نحو الانسان • ولكنه مؤآت يتغير من وقت لآخر ، فى درجته ومستواه • وقد يتحول الى ، نفرة •• وسخط •• وكراهية ••

طريق « الحب » طويل ، ولا يوصل الا الى ما يقلق النفس •

● انت الآن فى المرحلة اثنانوية • احرصى بارادة نافذة على اجتيازها • ضعى ما تسميه بالحب الطاهر تحت قدميك الآن • فهو من عمل الشيطان قطعاً • فمن وسوسة الشيطان : أنه يحسن الخطوة الأولى • حتى اذا استغرق فيها الانسان : حسن له الخطوة التالية لها • وهكذا كشارب الخمر : يظن أو يعتقد ان الكأس الاولى لا تسكره • و اذا أسكرته لا تحول الشارب الى مدمن على الشراب • حتى اذا توالى الشراب أصبح معتاداً عليه وأصبح عديم الارادة لا يقوى على السيطرة على نفسه • وعندئذ يفقد نفسه كإنسان •

ان الشيطان « يزين » للانسان •• ويغريه بالتدريج • والانسان لا يحس باتباع خطواته حتى يقع فيها • رانذا وقع فيها قلما يخرج منها نظيفاً كما كان •• و طاهراً كما كان •• وما كان من عمل الشيطان فحرام على الانسان أن يطيعه • لا تصدقى يا بنيتى وهمك و خيالك : بأن حبك للشباب زميلك هو حب طاهر ، يقف عند تبادل الرسائل • فذلك من اغراء الشيطان لك وله • وقد حذر الله بنى آدم جميعاً من الشيطان واتباعه • فيقول القرآن الكريم : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون » (١) •• فما فعله الشيطان مع آدم وحواء ، هو تعريتهما والكشف عن النقص فيهما • وكذلك يفعل بأبنائهما فى جميع الأجيال البشرية : يغرى •• ويضع فى اغرائه حتى يصل بالاغراء والخداع الى الكشف عن النقص فى الانسان ، وعندئذ لا يجد ساتراً يستر نقصه • والشيطان مع الانسان ، وفى نفس الانسان : فى شهوته وهواه •

ان علاقة السائلة بالشباب زميلها هى علاقة أئمة . مهما تصورت : انها بريئة وشريفة ، و طاهرة •• فما يحرى بينهما الآن هو متدمة حتمية لما يكشف سرهما وتخصبها فيما بعد ، لاناس ، ان استمرا فيها •

عج

(١) البقرات : ٢٧ •

كتب طالب باحدى الكليات العملية فى السنة النهائية ٠٠ يقول :

انه نشأت بينه وبين زميلة له علاقة حب ظاهر وعقد قرانه عليها امام
بعض الزملاء ، وشهد اثنان منهم على القرآن ٠

ثم قابل والمدما بعد ذلك واتفق معه على انه سيقدم الشبكة بعد التخرج
ويعقد القرآن عليها ٠ ووافق الموالد على ذلك ٠

ويسأل : هل هذا الزواج صحيح ، علما بانه اعطاها خمسة وعشرين
قرشا مهرا لها ؟ ٠

● على حسب ما يذكره السائل يكون قد توفر فى هذا العقد :

أولا : ايجاب الزوجة ٠٠ وقبول الزوج ٠ فهى تكون قد عرضت زواج
نفسها بنفسها عليه ٠ وهو بنفسه قد قبل ازواج منها ٠

وثانيا : المهر وقدره خمسة وعشرون قرشا ٠

وثالثا : شهادة اثنين على صحة عقد لمزواج ٠

بينما يكون قد غاب عن هذا العقد :

ولى الزوجة وهى بكر ، بالاضافة الى أمرين آخرين جرت بهما العادة :
اشهار الزواج والاعلام به ٠ وتوثيق عقد الزواج توثيقا رسميا فى سجلات
الدولة ٠

وعياب ولى الزوجة وهى بكر عن عقد الزواج : يبطل صحة العقد ،
لحديث صحيح يروى عن الرسول ﷺ : « لا نكاح بدون ولى » ٠ أى لا يصح
العقد بدون ولى ٠ وعدم صحته بالنسبة للبكر على سبيل القتلع ٠ والولى هو
الأقرب من العصبة من النسب ٠ والأب ان كان على قيد الحياة هو أقرب
العصبة ، وهو الولى للبكر ، نسبيا ٠ واذن فى سؤال السائل لم يكن اب الزوجة
طرفا فى العقد معه ٠ وغياب الولى كاف فى بطلان العقد ٠

أما ما عرضه السائل فى سؤاله على والد الزوجة من أنه سيقدم الشبكة
بعد التخرج ويعقد القرآن عليها ، ثم ما ينكره من موافقة الموالد على ذلك :

فلا تعتبر موافقته هنا تعبيراً عن « الإيجاب » المطلوب في عقد الزواج، وهو أن يقول الولي للزوج برضاً واختيار حر : « زوجتك ابنتى فلانة ، على المهر المسمى بيننا ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام » ٠٠ كما لا يعبر كلام الطالب السائل لولي الزوجة عن قبول للزواج من ابنته ، عندما يقول : بعد التخرج سنقدم الشبكة ونعقد القران ٠ بل ما يروى من كلام هذا ٠٠ وكلام ذلك : لا يخرج عن قول لعابر سبيل ، لا ينعقد به عقد زواج ٠

وبناء على غياب ولي الزوجة عن عقد الزواج ، وبتلان العقد مؤسساً عليه : لا يجوز للطالب السائل ولا لزميلته : الاختلاط ٠٠ أو اللقاء ٠٠ أو الخلوة ببعضهما ٠ والحب الذي بينهما لا يصح لهما أى شيء من ذلك ٠ والعقد « العرفى » الذى يغيب عنه ولي الزوجة البكر لا يعتد به اذن ٠ وهو فقط مصيدة للمرأة ، مهما اعتدت بشخصيتها وادعت انها ولية امر نفسها ٠

● أما غياب اشهار الزواج - وهو عرف جار - عن عقد الزواج : فضرره يعود على طرفى العقد ، وهما الزوجة والزوج ٠ فلو فرض ان الزوجة كانت ثيباً ولها الحق فى أن تزوج نفسها بنفسها ٠ أى لا تحتاج الى واليها فى عقد الزواج ٠ وبالإيجاب منها ٠٠ وبالقبول من الزوج يتم العقد صحيحاً ، وتجاوز صحة مباشرته من الزوجين فى علاقة شرعية بينهما ، الا ان عدم اعلانه ربما يحدث تقولات وشائعات عن هذا الزواج تضر بالزوجة أو بالزوج ، أو بهما معا : ففى حال اختلاطهما ٠٠ وفى حال سكتاهما معا ٠٠ وفى حال خروجهما وعودتهما للى المنزل ٠٠ وفى أحوال أخرى كذلك ، ربما يسمعان أو يشاهدان ما يؤذى سمعهما وبصرهما ٠ ومن هنا كانت عادة الاحتفال « بالزفاف » أمراً مرغوباً فيه لاعلام المعارف والجيران ، والحيلولة دون انتشار اشاعة سيئة أو مغرضة حول العلاقة بين الزوج والزوجة ٠ والعقد العرفى يكاد يكون عقداً سرياً ، أو على الأقل غير مرغوب فى الاعلام به ٠

● وغياب التوثيق الرسمى لعقد الزواج، عن الزواج العرفى قد يكون سبباً فى الحاق الضرر بأحد طرفى العقد ، عندما تنحل الزوجية فى سرية ٠٠ أو عندما يذهب كل منهما الى حاله ، غير مقدر لوضع الآخر ٠ فقد تكون الزوجة حاملاً ممن ؟ سيسأل الناس ٠ وما مصيره ؟ ستسأل الزوجة ويسأل أهلها معها ٠ وقد تكون مريضة أو يكون هو مريضاً بمرض مز الإمبراض السرية لا قدر الله ٠

فى غياب التوثيق الرسمى لعقد الزوج تضيع المسئولية الزوجية أو يهمل أمرها • والحب - كما يقال - الذى يعتبر مسئولاً الى حد كبير عن العقد العرفى لا يبقى العامل القوى فى حل مشاكل الزوجية فى ظل هذا العقد •• لا يبقى كائى عامل ايجابى فى ابعاد شبح القلق ، والريبة ، وعدم الاستمرار فى ظل هذا العقد •

ان العقد العرفى اذا توفرت شروطه مصدر امان للزوجة أو لها وللزوج ، اذا كانت عندهما تربية اسلامية تعتمد على الخشية من الله ، والايمان به ، والطاعة لأوامره ونواهيه، والضمير الحى اليقظ فى نفس كل منهما •• واذا كان الزواج بينهما تم على اساس الصلاحية الانسانية •• وليس على 'سّاس الشهوة الجامحة ، أو الزلة الخاطئة •• أو التورط فيما يشين •

ان عقد الزواج العرفى لو كانت له صلاحية شرعية : هو سلاح ذو حدين : قد يكون مفيداً للحيلولة دون مباشرة الفاحشة وارتكاب جريمة الزنا •• وقد يكون ضاراً عندما تتعرض المسئولية الزوجية - وهى مسئولية متعددة الجوانب - للضياع أو للاهمال على الأقل ، من جانب من لا يدركها أو من لا يؤمن بالقيم الانسانية فى علاقات الناس بعضهم ببعض •

١٥٨ - مشكلة « ما يطلبه المستمعون » :

من احدى الأخوات فى الايمان تقول : انها فى اجازة الآن من العمل لرعاية صغيرها • وأنها لاحظت عند سماع الاذاعة أن ثلاث اغنيات جاءت على فترات فى أسبوع واحد فى برنامج «ما يطلبه المستمعون» وذكرت مذيعة البرنامج : ان هذه الاغنيات الثلاث بناء على طلب :

(١) روك السائلة • (٢) زميل لها فى العمل •

وكلمات هذه الاغنيات : « افتر أتذب فى حبه ، وكنت انصفاء هو ، وكنت وياح •• تبيس طول الفترة الى اينة حتى افتر ذلك على صحتى ومرضت الآن لذلك المسبب » •• وجاءت هذه الاغنيات على فترات ، ويوم الجمعة بالذات حتى يسلمها المذيع فى المكتب لانها تعرف علاقته •

وتتحدد المسئلة : ان فكر اسم والدها على لسان مذيعة البرنامج هو ذكر غير عايش لإسمها هو • وكان هذه الاغنيات الثلاث قسرياً من علاقة الحب الباعث بينهما وبين زميلها فى المكتب، الفل فكر اسمه كذا •• فارتبط باسم والدها •

ثم تستطرد السائلة فتقول : انها متأكدة ان الذى فعل ذلك واتصل
ببرنامج «ما يطلبه المستمعون» لاذاعة هذه الاغنيات هو زميل ثان لها فى العمل
يريد المكيد ، والملبس فى علاقتها مع الزميل الاول .

وتذكر انه من المؤسف ان الزميل الاول ظن ان هذا الطالب صحيح منى
وانى قصدت ان اتاجيه عن طريق هذه الاغنيات ، فطلب هو بدوره من البرنامج
باسمه اغنيات اخرى تعبر عن مدى معزته لى وعن تمنياته لسعادتى مادام
هذا نصيب ، وليس بيده شىء . ومازال يطلب اغاني من هذا اللون .

وهى متزوجة وتذكر انها كانت لا تتمنى زوجا غير زوجها الحالى ، وان
هذا المصنيع قبيح فى موضوعه وفى اسلوبه . وترجو ان يذيع المجيب رايه
فى هذا الموضوع حتى يتحقق زميل السائلة فى العمل انها لم تكن طرفا فى
هذا اللبس لحظة ما . وان ما ظننه غير صحيح . وترجو ان يكون توضيح
الامر : حدا لهذه المأساة التى تنال منها كل لحظة تسمع فيها هذه الاغنيات .

● يفهم من رسالة السائلة : ان هناك انسانا ما يحقد عليها ، وربما
على صلتها البريئة - كما تذكر السائلة - بزميلها فى العمل . وانتهاز فرصة
قيامها بأجازة طويلة لرعاية صغيرها ، وتآمر عليها لىسىء فى الدرجة الأولى
الى علاقتها بزوجها .

فاتصل فى الاذاعة ببرنامج « ما يطلبه المستمعون » وطلب الاغنيات
التي تعبر عن عواطف الحبيبة الى محبوبها وعن خيبة أملها فى الوصول
اليه . وذكر اسم والدها - وهو الاسم غير الصريح لها - على انه يوجه
الأغنية الى زميلها الذى ذكر اسمه أيضا . وطبعا عندما يسمع الزميل مثل
هذه الأغنية ينلن انها بناء على طلبها ، وهى فى اجازة بعيدة عنه الآن . وبناء
على هذا الظن يجيبها عن طريق الاذاعة ايضا بطلب أغنية فى برنامج «ما يطلبه
المستمعون ، اينما تعبر عن انتقير والحب ، وتسدن عدم اللقاء بينهما الى
التقدر والتحبيب . وانما يتمنى لها السعادة فى وضعها الحاضر .

ولمّا ذكر اسم والدها بين الاسماء فى برنامج ما يطلبه المستمعون ..
لما كشف : ان فى صلتها بزميلها وابتى فى دائرة الاحتمال وحده .

(٢) والشخص الذى دبر هذا التيس فى علاقة السائلة بزميلها فى
العمل .. وزوجها ان عرف عنه شيئا : لا يستحق الاحترام . نرى يشى بين
الناس بما يسه ، وبما يجعل بعضهم كارها للآخر .

وهو وان كان يلام على ذلك في برنامج « ما يطلبه المستمعون » يلام أكثر . .
وأكثر :

(أ) فآية فائدة تعود على المستمعين ككل ، من ذكر هذه الاسماء العديدة
التي تسرع مذيعة البرنامج في سردها في لغو وثرثرة ؟

(ب) أهى شغل فراغ لدى المستمعين لا يستطيع جهاز الاذاعة ، أو
التلفزيون أن يملآه بما يفيد ويثمر ؟ .

(ج) أم أن ذكر الاسماء هو تشجيع للطلب من المستمعين وبالتالي
على عمل البرنامج ؟ .

(د) وما معنى أن تذكر المذيعة : ان فلانا يطلب اغنية معينة ويوجهها
الى فلان أو فلانة ؟ . وقد رأينا الآن أن هذا أمر قد ينطوى على الكيد
والاساءة الى من ليست لهم صلة بالأغنية المطلوبة .

انه من الأسف الشديد : أن يكون ذكر الاسماء فى برنامج « ما يطلبه
المستمعون » مضيعة للوقت . . واستهانة بالمستمعين أو المشاهدين . .
وتحريضاً للشباب على طلب ما لا يصح أن يسمع وما لا ينبغي أن يشاهد . .
وتوجيها رخيصة لهم . وليس ذلك اسبام الاذاعة والتلفزيون فى توجيه
الشباب توجيها جديا . والاذاعة والتلفزيون عن طريق برنامج « ما يطلبه
المستمعون » على هذا النحو هو يريد « حاك » للعواطف المتبادلة بين أفراد
معينين . وفى الوقت نفسه قد يكون مصدرا للوشاية ، ولسوء الظن على الأقل
اذا استغله من لا ضمير له للكيد أو الانتقام . كما نرى الآن فيما تحكيه
السائلة .

⊗ على أنه هناك تساؤل وراء ذلك يوضع أمام السائلة . ليست هناك
صلة نفسية - أية صلة - لم يكشف عنها من قبل بين السائلة ، وذلك الزميل
التي تقول عنه « اننى كنت احترمه ، وأعزه فى الله ، ولا غرض من وراء
معزتي له » . . وهو الزميل الذى رد على الأغنية بأغنية أخرى يسلم فيها
الأمر للقدر ؟ .

يبدو أن هناك أمرا ما يتم عن هذه الصلة الخفية ويعرفها الزميل الثانى
الذى تدخل بالإساءة بينهما ، عن طريق تبادل الاغانى فى برنامج « ما يطلبه
المستمعون » . والا كيف يجرى هذا الانسان على التدخل فى العلاقة بين
الاثنين ، اذا لم يكن يعرف : أنه ستكون هناك استجابة من زميلها المحترم ،
واستجابة فورية ؟ .

قول الله تعالى : «وإذا الموءودة سئلت • بأي ذنب قتلت» (١) •• أى سئلت عن دفنها حية فى التراب ، عن سبب وأدما • وجعل سؤال الموءودة من أمارات الساعة وقيام القيامة لتقبيح هذه الجريمة الجاهلية اللانسانية •

فالأجهاض الذى شاركت فيه - أو أوصت به - والدة السائل : حرام قطعاً • وهو جريمة قتل لانسان صغير حتى يرىء • وستسئل عنه يوم الدين : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله » (٢) ••

أما أن والدته شاركت أو أوصت الاجهاض لتستقر على عرض بنت غرر بها شاب ثم تركها وحدها بعد أن ظهر انها حامل منه : فتلك غاية لا تبرر الوسيلة التى هى قتل لطفلة أو طفل لا ذنب له الا انه لا يستطيع الدفاع عن نفسه •

وأجهاض المولود فى بطن أمه ان كان للتستر على عرض من هى حامل به : فهو كذلك فى الوقت نفسه اغراء على ارتكاب الفاحشة • اذ طالما يمكن التخلص من ثمرة الزنا فى الخفاء •• وفى هذا اليسر • فالعاشرة غير الشرعية يمكن التستر عليها وابعاد آثارها الاجتماعية •

والاجهاض يمكن أن يكون مقبولاً شرعاً ، اذا كان لزوجة ، وأكد الاخصائيون من الأطباء : أن حياة الأم فى خطر اذا استمر حملها •• وأن الاجهاض هو السبيل الى انقاذ حياتها • فالتخلص من الجنين الآن مصدر حياة أمه • والاسلام اذن لا يعاقب على الاجهاض بشيء •

وعثل الاجهاض من أجل التستر على عرض الحامل غير المتزوجة - وسائل منع الحمل الأخرى ، عندما تقدم للشابات غير المتزوجات أو عندما يمكن منها • وان كان فيها الوقاية من الحمل تستر على الأعراض • نهى فى الوقت ذاته تنطوى على تشجيع غير مباشر على المعاشرة غير الشرعية ، وعلى شروع الفاحشة بين غير المتزوجين والمتزوجات •

وهكذا : التستر على العرض •• وخشية الفضيحة لا يصلح مبرراً للاجهاض ، ولا مبرراً أيضاً لتقديم وسائل منع الحمل لغير المتزوجين والمتزوجات ، أو لتتبعين منها بأى طريقة •

(٢) الانفطار : ١٩

(١) التكاوير : ٨ ، ٩

● ويسأل ثانيا : « الصوفة » التى يستعملها بعض النساء كمانع من الحمل ، فمن حيث قيمتها فى منع الحمل يوجه السؤال الى اخصائى من الأطباء • فما يقال عن وسائل منع الحمل من غير الاخصائيين هو ظن يقوم على « الاحتمال » والأولى أن تكون الاجابة عليها ممن لهم دراية علمية بذلك •

أما عن « حلها » •• « وحرمتها » •• فحرام اذا كانت تمنع الحمل مؤكدا ان يقدم النصح بها ، أو يمكن منها من ليس له علاقة زوجية صحيحة • وكذلك من له علاقة زوجية صحيحة فى غيبة اذن الزوج أو فى حال عدم موافقته على منع الحمل •

والخلاصة :

أولا : ان الاجهاض حرام ، الا اذا توقفت حياة الزوجة عليه • فهو جائز عندئذ • وليس من أسباب حله : التستر على عرض الحامل به فى سفاح •

ثانيا : أن تقديم وسائل منع الحمل لغير المتزوجين والمتزوجات •• أو تمكينهن منها بصورة ما : حرام كذلك شرعا • لأنه ينطوى انطواء غير مباشر على تشجيع الفاحشة وشيوع المنكر بين غير المتزوجين والمتزوجات • واثم ذلك على كل مشارك فى التقديم والتمكين •

ثالثا : ان حل تقديم وسيلة من وسائل منع الحمل للمتزوجات •• وحل استخدامها منهن : مشروط بموافقة الزوج • فالحياة الزوجية شركة بين الاثنين •• وما يأتى ثمرة لها هما معا مسئولان عنه • كما هو مشروط أيضا برضاء الزوجة ، وتحمل صحتها له ، طبقا لرأى الاخصائيين •

١٦٠ - انحراف الشباب المسلم والحضارة المستوردة :

كتب احد المواطنين ، لم يذكر له موطننا ، ينفى التبعة عن شباب اليوم فى الانحراف • ويحمل علماء الأزهر ورجال الدعوة الى الاسلام ، الموزر كله فى انحراف الشباب •

فكثير من هؤلاء العلماء واولئكم - كما يقول - يتجر بالدين •• وينافق من اجل الوصول الى اعلى المراتب فى المناصب والوظائف •• وكثير منهم يمتلىء قلبه بالحقد والكراهية والقسوة ، مما ينفى عن الاسلام •• وكثير منهم بعيد عن القدوة الحسنة فى سلوكه فيسير مع الزوجات والبنات فى الشوارع والاماكن العامة بدون ان يتحجبين •

ثم يقول هناك قصور في الدعوة • ويسأل : أين يجد الدين ، بعيدا عن الكذب والنفاق ، والخداع ؟ •

• ان انحراف الشباب المسلم اليوم في السلوك لا يعود فقط الى افتقاده القدرة الحسنة بين الدعاة وعلماء الأزهر - كما يقول السائل - وانما يرجع نبل ذلك الى الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الاسلامي المعاصر • فهذا المجتمع الاسلامي المعاصر لا يعيش في عزلة عن المجتمعات الأخرى والتاثر بأوضاعها وظروفها التي تعيش فيها • فال تقدم العلمي والتطور الصناعي ييسر كل مذهبا اتصال المجتمعات البشرية بعضها ببعض • فليس الراديو وحده • • وليس التليفزيون وحده • • وليست الصحف والدوريات وحدها • • وليست الطائرات الأسرع من الصوت وحدها • • بل الأقماع الصناعية التي ترسل مع ذلك الأحداث في العالم ، فور وقوعها في أى مكان منه : الى بقية جهاته •

وما يجرى في المجتمعات الأخرى وتنقله وسائل النقل السريعة ليس ذا طابع اسلامي بل ربما يكرن على التمييز تماما ، مما يدعو الاسلام • وهو اذ ينقل الى داخل المجتمع الاسلامي قد ينقل في غير طواعية واختيار ، من المشرفين على وسائل الاعلام • وكثير منه ينقل باختيارهم ورغباتهم •

فالأجهزة الحديثة لوسائل الاعلام بنقلها ما في المجتمعات الأخرى الى المجتمع الاسلامي المعاصر : تضع أمام تقاليد هذا المجتمع : تقاليد أخرى لم يكن يعرفها من قبل • • تضع أمامه باسم الحضارة : الحفلات الماجنة • • والسلوك المريب • • والاختلاط الشائن • • وعادات أخرى لم يكن يمارسها اطلاقا في حياته •

وفي هذا الخليط بين الماضي • • والمعاصر ، من السلوك والعادات والتقاليد : يعيش الشباب المسلم اليوم • • فانما تدم له الاسلام ، وربما يقدم اليه في غير قدرة حسنة - كما يقول السائل - يكون اقتناعه به أقل مما تقدمه أجهزة الاعلام الحديثة • لأن ما تقدمه هذه الأجهزة يثير الغرائز ويحرك شهوات النفس ، أكثر مما ينير العقل ويعين على المنطق السليم •

• وتأثير ما يدور في المجتمعات الأخرى على شباب المجتمع الاسلامي المعاصر لا يعود فقط الى ما يعرض في حفلاته ، وفي عاداته وتقاليد المغايرة • وانما قبل ذلك يعود الى خرافة ، لم تزل مهيمنة على المسلمين في مجتمعاتهم منذ أيام الاستعمار الأوروبي لها • وهذه الخرافة هي : أن الحضارة الأوروبية هي عنوان التقدم في الانسانية • • فما تدفع به هذه الحضارة من داخل

مجتمعاتها الى المجتمعات الاسلامية المعاصرة : هو خير يجب اتباعه ، وعدم التخلف عن الأخذ به ، ولو كان فسقا أو عبثا وانحلالا . وشباب مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة يعيش فى هذه الخرافة ويقبل تقليد ما هو أجنبي عن مجتمعه . ولذا هو حائر . ومضطرب : يقدم رجلا . ويؤخر أخرى ، كما يقولون .

● ولا شك أن القدوة الحسنة عند الداعى الى الاسلام هى عامل ذو أثر ايجابى فى نقل الدعوة وفى قبولها من الآخرين . وعندما أثنى القرآن على رسول الله ﷺ لم يثن عليه بالعلم والمعرفة ، وإنما أثنى عليه «بالخلق العظيم» فيقول له : « وانك لعلى خلق عظيم » (١) . والخلق هو عادات تتمثل فى السلوك ، والمواقف ، والتصرفات . وذلك ما يعبر عنه بالقدوة الحسنة ، ان كان هذا السلوك ، والمواقف ، والتصرفات لها طابع الحسن تتميز به .

ولأن القدوة الحسنة ذات تأثير قوى فى نشر الدعوة يوصى الله المؤمنين: الاقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام فى تطبيقه لمبادئ الوعى فى حياته وحياة أمته فيقول لهم :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ونذكر الله كثيرا » (٢) وبذلك قامت الدعوة الاسلامية على عهد الرسول صلوات الله عليه ، على : الوعى . وعلى حسن التطبيق لمبادئه .

● والنفاق . والكذب . والخداع : صفات تلحق الضعيف فى المجتمع . والضعيف هو ضعيف النفس . وضعفها قد يكون باغراء الوظيفة . أو الترف والوضع الاجتماعى الذى يعيش فيه الانسان . فهو لا يحرص طائفة بعينها . وإنما يلحق نفوسا معينة . وهى التى لها قابلية للدنيا وزينتها . وعائشة رضى الله عنها عندما تحكى عن معيشة الرسول عليه السلام بقولها : « لم يجتمع لنا فى يوم واحد : آدم . وبر » . تخبر عن الوضع الاجتماعى الذى كان فيه الرسول صلوات الله عليه . وهو وضع يحول دون أن يقع عليه السلام تحت اغراء الدنيا . ولذا لم يضعف عليه السلام لحظة واحدة فى نشر دعوته . ولم تضعف دعوته اطلاقا لما أخذ فى قدوته الحسنة . انه عاش للرسالة ، وللدعوة اليها ، ولتطبيق ما جاء فيها .

● وأمامك الآن : كتاب الله لا يخدعك . ولا يكذبك . ولا ينافقك . تأخذ منه دين الله ورسالته الى الانسان .

وهناك عدا ذلك كتب معاصرة لا تخدعك كذلك فى عرض دين الله عليك •
وربما لو كلفت نفسك مشقة الذهاب الى «مكتبة وهبة» بشوارع الجمهورية
لوجدت الكثير منها بعيدة عن الكذب والنفاق •

١٦١ - اثر الحضارة الغربية فى مفاهيم الأسرة المسلمة :

كتبت مواطنة من محافظة القاهرة •• تقول :

اذها الآن طالبة فى المرحلة الثانوية التجارية • ومنذ فترة لا تزيد على
الست سنوات تعرفت على شاب على خلق •• وأنه يواظب على اداء الصلاة
فى أوقاتها •• واتفقت معه على أن تتزوجه ، بعد انتهاء كل منهما من المرحلة
الدراسية • وقد انتهى هو من الدراسة • ويؤدى خدمة الجيش ، وتسال :

— هل هذا حرام ؟ وما حكم الإسلام فى هذا الموقف ؟

— كما تسأل عن معنى « الجنة تحت أقدام الأمهات » ؟ رغم أن كثيرا
من الأمهات - كما تقول - يفرطن فى حق الله تعالى مثل الصلاة ، ويرتكبن
كثيرا من المعاصى • فهل مثلهن يدخلن الجنة ؟ • ثم تختم رسالتها بانها
محجبة •

● الأخت السائلة والمتحجبة الآن تعرفت على شاب منذ سنوات
واتفقت معه على الزواج بعد انتهاء كل منهما من المرحلة التى هو فيها •

أولا : كيف تعرفت به ؟ وكيف كانت تلتقى به فى هذه الفترة الطويلة ؟
أكان عند تعرفهما ، ثم عند كل لقاء بينهما طوال الست سنوات ذو محرم لها؟
أباشرت بنفسها الخطبة واتفقت معه على الزواج ؟

والجواب على هذه الأسئلة كلها ، كما يستفاد من رسالتها :
أنها تعرفت عليه و التقت به ، و تلتقى به طوال هذه المدة من غير ذى محرم
لها • وهذا النحو من السلوك يحرمه الإسلام • فقد جاء فى حديث صحيح قول
الرسول عليه السلام : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ••
فاختلاط الرجال غير المحارم بالنساء وهو ما يسمى بالسفوريرى فيه الإسلام

مصدرا للبعث بين الطرفين • ولذا عمل المرأة خارج المنزل لا ضرر فيه الا اذا انطوى على الاختلاط بغير ذى محرم •

والأخت السائلة وهى محجبة الآن - كما تقول - لم تكن متحجبة لحظة من اللحظات التى التقت وتلتقى فيها بخطيبها ، طالما كانت تبيح لنفسها الاختلاط بأجنبي عنها • فهذا الخاطب لم يزل أجنبيا بالنسبة لها ، مهما اتفقا على الزواج ، ومهما طالت فترة الخطوبة بينهما • وهى سافرة وليست متحجبة • اذ الحجاب مقابل السفور فى المعنى • والسفور هو اختلاط المرأة بغير ذى محرم : فى العمل •• فى الحديث •• فى النوادى •• الخ •

● وثانيا : كيف تصف خطيبها بأن شاب على خلق •• ويواظب على أداء الصلاة فى أوقاتها وهو يلتقى بها على انفراد ، وربما هو الذى يدفعها الى اللقاء؟ ان المواظبة على أداء الصلاة فى أوقاتها - لو كانت صلاة لله حقا - لحالت دون وقوع المنكر من المواظب عليها • واختلاط الرجل بأجنبية عنه من غير ذى محرم : منكر قطعاً • وغاية الصلاة : أن تنهى عن الفحشاء والمنكر •• اذا تحقق فيها خشوع الانسان للمولى جل جلاله •

والشاب صاحب الخلق الطيب - اذا كان صاحب خلق طيب حقا - لا يتقدم لخطبة فتاة الا وهى بين أهلها وأسرته • ولا ينفرد بها ويوقعها تحت الاغراء ، والآمال التى قد تكون كاذبة •

الشاب المتدين حقا •• والفتاة المتحجبة على أساس اسلامى مقياس صلاحيتها فى نظر الاسلام : اتباع لتعاليمه •• وليس انصرافهما عن هذه التعاليم ، واتباع عادات غير اسلامية ، على نحو ما سارا هما عليه هنا فى تعرف بعضهما ببعض ، وفى اتفاقهما على الزواج فيما بينهما خاصة ، وفى اللقاءات المتكررة وهما اجنبيان عن بعضهما • ان ما اتبعاه ظاهرة من ظواهر المادية الطاغية فى حياة الانسان المعاصر • فالفتاة فى الغرب أو فى الشرق قد تتعرف على الشاب : فى مصنع •• أو فى مكتب •• أو فى مرقص •• أو فى الشارع • ومتى بلغت السادسة عشرة من عمرها قد تختار السكنى معه فى حجرته التى يسكن فيها ، أو فى حجرته التى تستأجرها ، لفترة تطول وتقصّر • وقد يتفقا على الخطوبة فيما بينهما • كما قد يتفقا على الزواج • وفى حالات كثيرة ينفصل أحدهما عن الآخر لسبب من الأسباب • وبعد الانفصال قد يبتدىء كل منهما الدورة من جديد مع شخص أو أشخاص عبيدين • وربما تنتهى حياتها متنقلة وغير مستقرة فى أسرة خاصة •

والفتاة هناك فى تعرفها بالشباب ٠٠ وفى لقاءاتها المتكررة بهم : تخسر الكثير من كرامتها ، وحياتها ، وكبريائها ٠ وتخسر أكثر من ذلك كله ، اذا شاركت فى السكنى والانفاق ٠

● و « الجنة تحت أقدام الأمهات » : ليست آية من القرآن الكريم كما تقول الأخت المتحجبة ٠٠ ولم يصح كذلك أنه حديث ٠٠ وربما هو قول ماثور يستهدف الحث على تكريم الأمهات من البنائهن ، ولو كن غير مؤمنات ٠ ومن الأحاديث الصحيحة فى الحث على تكريم الأمهات ورعايتهن ، والاحسان اليهن بالقول ٠٠ والعمل ٠٠ والعاطفة ، ما يروى عن أبى هريرة من قول الرسول عليه السلام : « قال رجل يا رسول الله : من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : أمك ٠٠ ثم أمك ٠٠ ثم أمك ٠٠ ثم أبوك ٠٠ ثم أئناك فأئناك » ٠٠ فابتدأ بالأم ٠٠ وكرر الأمر بشأنها ثلاث مرات، مما يدل على العناية بها والاعتراف بالدور الرئيسى الذى تقوم به فى الأسرة: ان فى تكوينها، وتربيتها ، وتدويرها ٠ والأم تستحق ذلك ، وان لم تكن مؤمنة ٠ فما جاء فى وصية لقمان لابنه فى قول القرآن الكريم : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير » (١) ٠٠ من العناية بالأم خاصة ، عن طريق ابراز دورها فى الأولاد : عام لجميع الأمهات وان لم يكن مؤمنات ٠

والأبناء مطالبون فقط بشيء واحد : ان لا يطيعوا الوالدين فيما يوجهانهم اليه من شرك وكفر باس : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » (٢) ٠٠ ورغم الأمر فى الآية بعدم الطاعة لهما فى حال طلب الشرك منه ، فان الآية ذاتها تطلب مصاحبتهما بالمعروف طوال حياتهما فى الدنيا ٠ ومعنى مصاحبتهما بالمعروف تقديم كل عون وكل رعاية لهما ٠

١٦٢ - سخرية المرأة من زوجها بسبب ادمانه على المشراب :

كتبت سيدة من احدى القرى ٠٠ تقول :

ان زوجها مدمن على المشراب هو واسرته ٠٠ ويباشر الفحشاء ٠٠ ومهمل لحقوقها الزوجية ٠ فهو يسهر بالليل ، ويهمل بالانهار ٠ وتسخر منه ٠٠ وتشمئز من الحياة معه ٠

(٢) لقمان : ١٥

(١) لقمان : ١٤

وتسأل : هل هذا حرام (وتعنى السخرية والاشمئزاز منه) وفيه ما يغضب الله ؟ •

كما تستفسر عن معنى قول الله تعالى : « الخبيثات اللخبثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » (١) ••

وتسأل هل هى الآن مثل زوجها فى الخبث ، لأنها أصبحت زوجة له ؟ •

❁ ان الادمان على شرب الخمر والمسكر على العموم : يتبعه فى غير احتياط وتوق من المنكر : مباشرة الزنا والفاحشة •• كما يتبعه اهمال الزوج فى المقوق الزوجية الواجبة لزوجته • وعندما يصبح الزوج مقترفا لجريمة الزنا ، ومهملا فى حق زوجته ، يكون عندئذ موضع سخرية لها واشمئزاز منها لحياته التى يعيشها •

والقرآن اذ يحرم الخمر فى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (٢) •• ليؤكد أضرارها فى آثارها على المتناول لها ، وعلى أسرته ، وعلى المجتمع الذى يعيش فيه • فقد جعلها هنا رجسا وقذارا •• وانها من عمل الشيطان : « رجس من عمل الشيطان » •• (وأوضح أن تجنبها فيه فلاح ونجاح لمن يتجنبها فى حياته) فاجتنبوه (أى اجتنبوا عمل الشيطان وهو تناول الخمر) لعلكم تفلحون •• كما أوضح شيئا من آثارها السيئة فى الأسرة والمجتمع فى قول الله بعد ذلك : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم متبهون » (٣) •• وهذه السائلة فى رسالتها التى وردت اليها تعلن سخريتها من زوجها ، واشمئزازها من المعيشة معه ، كما تعلن احتقارها له بسبب اهماله حقوقها الزوجية • وذلك كله يرجع الى ايمانه على تناول الخمر • ولا شك أن ذلك صورة من صور العداوة والبغضاء بين الناس بسبب الخمر • وهم هنا الزوجة وزوجها وأهله الذين يشاركونه مباشرة المنكر •

والقرآن اذن بتحريمه الخمر يريد أن تكون العلاقات بين الناس طيبة •• وأن يحتفظ الانسان بكرامته وسط أهله ومعارفه •• كما يحافظ على

(٢) المائة : ٩٠

(١) النور : ٢٦

(٣) المائة : ٩١

رجولته وأدائه حقوق الآخرين عنده ٠٠ يريد للانسان أن لا يكون مهانا فى
أية صورة من صور الاهانة .

وكنها الحضارة الأوروبية فى مجتمعاتنا المعاصرة هى التى دفعت
بشرب الخمر ، ولعب الميسر ، حتى كاد يصبح كل منهما عادة من العادات
الاجتماعية : فى منازلنا ٠٠ وفى نوادينا ٠٠ وفى احتفالاتنا ٠٠ وأصبح
الغلو فى ظهور هذه العادة ضربا من ضروب ما يسمى « بالتقدم » ٠٠
« والمدنية » . وهكذا : يعبر بعض الناس عن مهانة الانسان ومذلته عندما
يدمن على الشراب : « بالتقدم » ٠٠ كما يعبر عن القلق والضياح عندما
يتعود الميسر : « بالمدنية » . ويغريه لفظ « التقدم » ٠٠ « والمدنية » ٠٠ ولا
يزعجه ما تنطوى عليه حقيقة الادمان على الخمر ، وحقيقة العادة على
لعب الميسر . والشباب المسلم المعاصر يقع كثيرا تحت الاغراء . وقلما يبحث
عن الحقيقة والجوهر لكثير من مظاهر الحياة العصرية .

● والسائلة تسأل : هل سخريتها من زوجها واشمئزازها من حياته
ومعيشته يغضب الله جل شأنه ؟ .

كيف يغضب الله من انسان يعبده ، عندما ينكر على انسان آخر :
مباشرته للفاحشة والمنكر ؟ . أن سخرية السائلة واشمئزازها من زوجها
ومن حياته هو تعبير منها عن استنكار مباشرته الفاحشة والمنكر . والله سبحانه
عندما ينهى المؤمنين عن أن يسخر قوم منهم بقوم آخرين منهم كذلك ، فى قول
الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا
منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » (١) ٠٠ يريد النهى عن
ذلك بين المؤمنين . وهل من صفات المؤمنين : الادمان على شرب الخمر
٠٠ واقتراف جريمة الزنا ٠٠ واهمال الحقوق الواجبة للآخرين ؟ . أن النهى
منصب على « المؤمنين » فى موقف بعضهم من بعض . وحتى يكون زوج
السائلة مؤمنا : عندئذ تصبح له حرمة المؤمن فلا يسخر منه مؤمن آخر . إذ
السخرية منه آنذاك تغضب المولى جل جلاله .

● اما الآية التى وردت فى رسالة السائلة وهى قول الله تعالى :
« الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات » (٢) ٠٠ فليس معنى ذلك : أن السائلة بزواجها من مدمن الشراب
ومقترف الزنا ، أصبحت خبيثة وغير مقبولة عند الله . لأنها لم تكن تعرفه
على حقيقته الا بعد الدخول بها والعيش معه بين أهله . وانما المعنى : ينبغى

(٢) النور : ٢٦ .

(١) الحجرات : ١١

أن توجه صفات النقص فى الانسان - كالزنا والادمان على الشراب مثلا - لمن يتصف بها فعلا من الرجال والنساء ، دون ذلكم من الاطهار الطبيين والطيبات . والآية هنا تريد أن تؤكد بعد اسيدة عائشة رضى الله عنها عما جاء فى حديث الافك خاصا بها من اتهام باطل هى بريئة منه كل البراءة .

والسائلة لها أن تطلب اطلاق منه للاضرر بمعاشرتة . فليس هناك أكثر اضرارا بانسان ما ، اذا كان رفيقه ومعاشره فى الحياة سكيما . . . ومقامرا . . . وزانيا . . . ومتخلفا فى اداء واجباته . وعودته الى الحياة الطبيعية امل لا يرجى تحقيقه الا فى نطاق ضيق فهو مريض بالعادة يصعب عليه تغييرها .

١٦٣ - الشباب اليوم . . . والحياة فى مرحلة المراهقة :

شاب حائر من احدى المحافظات :

طالب بالأزهر ، وعلى وشك أن يلتحق بالجامعة . . . ويحفظ القرآن حفظا جيدا . . . ويطيع الله عز وجل . . . ويؤثن فى مسجد القرية . . . ويصلح بين الناس ابتغاء وجه الله .

دخل سن المراهقة . . . وبدخوله هذه المرحلة فى حياته أخذ يفكر فى امور الدين تفكيرا عميقا : مرة يذطى . . . ومرة يصيب . . . وأصبح كما يقول : « يصلول ويجول فى هذا الفكر . . . الى أن وجد نفسه فى قلق ، واضطراب ، وخوف من الحياة » . . . ثم يستطرد فيقول :

« ووسط كل هذا تدخل الشيطان على فكرى : يؤيد فى نفسى الفكر الذبيث . . . والذى يبعثنى عن الايمان بالله ، فتحويت بينى وبين نفسى : من شئنى راسخ الايمان . . . الى شئنى متزعزع ضعيف الايمان .

« وهذا المرض يزيد فى قلبى يوما بعد يوم ، منذ أربع سنين . . . وأحياناً تجلئ الله على بنوره ، وأكون فى نور وصفاء حتى أتذوق حلاوة الايمان . . . ولكن سرعان ما يعود الى المرض بوسوسة الشيطان ، وأنا مع ذلك اعد نفس كثيرا ، مستعينا بالله ، ومستعيدا به من الشيطان » .

« ورغم كل هذا - كما يستمر الشباب الحائر في القول - فأن لم ألتقط
عن الأذان بالمسجد في القرية ٠٠ ولم يغير هذا المرض من سلوكي المطيب بين
الناس ٠٠ ولم يثبط عزيمتي نحو الدعوة إلى الله ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

« ولكن هذا المرض غيرنى من الداخل أن لم يكن كلياً فالغالب ، حتى
أمات في نفسى الجانب الروحى ، وجعلنى أعيش فى ضنك وحزن دائم » ٠٠

ويسأل :

أولاً : كيف المتخلص من هذا المرض الأليم ؟

ثانياً : هل يرجى من شخص سكن قلبه هذا المرض الخبيث : أن يتخلص
من هذا الكابوس ، ويبتزق من جديد حلوة الإيمان ؟

ثالثاً : أنه يحس بتغير الناس من حوله . هل احساسه بكرهيتهم اياه:
نتيجة هذا المرض أم هو وهم خاطيء منه ؟

رابعاً : ما هو داء الصد ؟

● الشباب الحائر يبدو أنه فى ايمانه بالله وبالقيم الانسانية التى جاءت
بها رسالة 'بهدى كان منصرفاً وغير عابىء بمتع الدنيا وزينتها اطلاقاً ، وكان
يضى أن ينظر الى متعة مادية فى المال أو فى المرأة ٠٠ أو فى الجاه ٠٠ أو
فى الأكل والشرب وما تشتهيه النفس بالحاح ، فضلاً عن أن يسعى الى
الاستمتاع بها . كان يعيش فى عزلة نفسية وفكرية عما يجرى فى حياة
المجتمع الذى نشأ ويوجد فيه الآن . كان لا يرتبط فى نفسه بشيء آخر مادي
وراء ايمانه بالقيم العليا ، وكان لا يرتبط فى تصوره للحياة الا بما يؤمن به
من قيم عالية انسانية فقط . وبسبب هذه العزلة النفسية كان يعيش فى وثام مع
ما يؤمن به . يتصور السمو كل السمو فى قيم الروحية فيصعد اليها بالايمان
ويبتعد عن واقع الحياة تماماً . وبصعوده الى مجال القيم الروحية العليا
يبتعد عن واقع الحياة . وهو واقع يمر به ولكن لا يلتفت هو اليه . وعلى
أية حال أن لم يكن هناك وثام قائم بين ما يتصوره فى ايمانه وبين السلوك فى
الحياة التى يعيشها ، فليس هناك اصطدام على الأقل بين الطرفين : الايمان
بالقيم الروحية العليا فى نفسه كطرف ٠٠ والحياة التى يعيشها فى تصوره
وفى عزلته عن الواقع تحت قدميه .

● وعندما دخل مرحلة المراهقة تيقظ فى نفسه الميل الى الواقع المادى
من الحياة ، بحكم ضغط الغريزة الجنسية التى تميز هذه المرحلة عن بقية

المراحل فى تطور الانسان ويسود فيها ، وانجذب اليه جذبا عنيفا ورأى ما فيه من اغراءات ، وزينة للحياة الدنيسا : رأى المال ٠٠ والمرأة ٠٠ والترف فى الاستمتاع ٠٠ والجاه ٠ ومن قبل كان يتجاوزها ببصره ٠

وهنا كان التصادم فى النفس ٠٠ وكان الصراع الداخلى ٠٠ كان التقلب والتردد بين الروحية والمادية ، او بين أقصى اليمين ٠٠ وأقصى اليسار ٠ او بين سمو القيم العليا فى التصور ، ودنو المتع المادية فى واقع الحياة ٠٠ وكان الضعف فى البقاء فى طرف من الطرفين وربما يطول هذا الصراع وربما يقصر ٠٠ وربما يشتد ويقوى ٠ وربما يتراخى أو يتلاشى بتغلب أحد طرفى المعادلة النفسية ٠

ودخل الشاب الحائر مرحلة المراهقة فرأى الواقع فى الحياة بما يغريه ويخدعه ، ويشده وينزعه مما كان فيه ٠ وما كان فيه كان تصورا فقط رسمه له الايمان بالله وبالتيم العليا ٠ وجد نفسه أمام تناقص لا يمكن لمثله أن يرفعه يسر فى حياته ، حتى يكون هناك انسجام فيها ٠ ولقد بدأ يتأرجح فى تقديره ٠ وما كان يرفضه بالأمس من الاقبال على حب الشهوات أصبح يدفع الى السعى نحوه دفعا ٠ ابتدا يشك فى القيم الروحية التى جاء بها الايمان بالله عندما يشتد الضغط عليه نحو الشهوات التى جبلت النفوس بحكم غرائزها على أن تقع فى شباكها : « زين للناس حب الشهوات من الخساء والبغين والمقتاتين المقتطرة من الذهب والفضة والمخبل المسومة والانعام والحرث ، تلك مقاع الحياة الدنيا » (١) ٠ ومعنى أن هذه الشهوات زيت للناس : انها مصدر خداع لهم ٠ ويصير السائل عن تأرجحه فى التقدير و لتردد بين الحارفين ، فيقول فى رسالته : « فتحوالت بينى وبين نفسى من شخص رأسخ الايمان ٠٠ الى شخص متزعزع ضعيف الايمان ، وهذا المرض يزيد فى قلبى يوما بعد يوم ، منذ أربع سنين ٠ وأحيانا يتجلى الله على بنوره : وأكون فى نور وشفاء ، حتى أتذوق حالة الايمان ٠٠ ولكن سرعان ما يعود الى المرض بوسوسة الشيطان ، وأنا مع ذلك أجاهد نفسى كثيرا مستعينا بالله ومستعيدا به من الشيطان » ٠٠

والشاب الحائر - هنا - بدخوله مرحلة المراهقة : انتقل من قوى فى ايمانه ٠٠ الى ضعيف فى هذا الايمان ٠ وضعفه هو فى شكه فى القيم الروحية الايمانية ٠ ويسمى هذا الشك مرضا ووسوسة للشيطان ٠ وما هو الا أثر الغريزة الجنسية عليه فى هذه المرحلة ٠ كما يسمى العودة الى الايمان بالصفاء والنور ٠ وما هى الا الابتعاد عن واقع الحياة والمكث فترة من الوقت فى التفكير والتصوير البحت ٠ وجهاد النفس الذى يتحدث عنه هنا هو

(١) ال عمران : ١٤

محاولته حمل النفس على تجنب « الواقع للحياة » ٠٠ والبقاء في « التصور »
وحده ٠

• وما وقع لهذا الشباب الحائر يقع لشدان كثيرين ، حيارى أيضا •
ويختلفون فيما بينهم في مدة الصراع النفسى أو في فترة جهاد النفس . كما
يقول صاحب الرسالة هنا :

(أ) فيبدون حياتهم بالإيمان بالله وبالقيم العليا ٠٠ ويصعدون هذا
الإيمان في قوته . حتى يعيشوا في « التصور » وحده لهذا القيم •
وبقدر بعدهم عن « واقع » الحياة بقدر غاؤهم في حياة القيم
الروحية والتعاشي معها •

(ب) ثم يحمون في مرحلة المراهقة التالية على النظر الى « واقع »
الحياة والتعامل مع هذا الواقع • وبقدر تأثرهم بمبادئ الحياة
وزينتها بقدر شكهم في الإيمان وقيمه • ففي هذه المرحلة يفكر
الشباب في المرأة . على الأخص ٠٠ وكيف يحصل عليها ؟ فإذا قيل
له مثلا: إن الزلوة بالمرأة . في غير عقد شرعى حرام : عندئذ يتدخل
الشك في نفسه من قيمة المبادئ التى بكله الإسلام باتباعها •
وتد يسترسل في الشك في قيمة هذه المبادئ فينكر الله والإيمان
به • وهنا يقبل على متع الحياة المادية في غير احتياط وقد يتوقف
في الشك عند حد التساؤل فقط • وهنا تمتد فترة الصراع النفسى
بين القيم الروحية ٠٠ وواقع الحياة المادية • ويلزم القلق النفسى
فترة انصراف الداخلى •

• وعلاج هذا التناقض في نزوى الشباب يجب البدء به قبل الدخول
في مرحلة امراهقة • وذلك بالتركيز على « الاعتدال » الذى يطلبه الإسلام
من المؤذن برسالاته • وهو الاعتدال في الاستمتاع بالمتع المادية • يجب أن يفهم
الشباب مثلا بان قول الله تعالى في الآية السابقة : « زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والإنعام والحريث » (١) • ليس دعوة الى الانصراف عن هذه الشهوات •
ولكنه اخبار فقط بأنها متاع الحياة الدنيا . كما تعقب نفس الآية بقولها : « ذلك
مفراع الحياة الدنيا » • والغرض من هذا الاخبار هو لفت النظر الى أن هناك
نوعا آخر من المتاع هو أبقى وأحسن • وهو متاع الآخرة لمن سلك في حياته
الدنيوية مسلك عدم الاسراف في الاستمتاع بالمتع الدنيوية . على نحو ما يطلب
القرآن الكريم في قول الله تعالى : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (٢) •

(٢) الأعراف : ٣١

(١) آل عمران : ١٤

والنوع الآخر من المتاع فى الآخرة الذى يعد جزاء لمن لم يسرف فى الاستمتاع بالمتاع الدنيوى المادى هو ما تناوله قوله جل شأنه : « والله عنده حسن المتاب • قل أُوْتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ، لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ (وهم الذين لم يسرفوا فى الاستمتاع بمتع الدنيا) جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد • الذين يقولون ربنا اننا آمننا فأغفر لنا ذنوبنا وهنا عذاب النار • الصابرين والمصدقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » (١) ••

فالإسلام ببيع اذن الاستمتاع بالمتع المادية فى الحياة الدنيا • وإباحة الاستمتاع هذه تنسجم مع الايمان بالقيم الروحية ، طالما لا تتحول هذه الإباحة الى اسراف • وبناء على ذلك يؤمن الانسان بالله ، ومع ذلك يسعى فى الدنيا للحصول على متعها • وفى مقدمة هذه المتع : الاستمتاع بالمرأة كزوجة • وليس هناك تناقض بأن يعيش الانسان فى واقع الحياة البشرية مؤمنا بالله وبالقيم الروحية •

واذن التناقض عند الشباب الحائر – وأمثاله – خلقه التخلف والغلو فى فهم الايمان وفى تطبيقه • ويجب على الشباب أن يعرف : ان القرآن منهج للحياة الإنسانية يطبق فى واقع الانسان ولا يعيش المؤمن به فى برج عاجى بعيد عن الواقع •

١٦٤ – مرحلة المراهقة ونتائجها :

كتب طالب بجامعة الأزهر يقول :

انه قدم من الصعيد الى القاهرة ليتم دراسته فى الكلية بالأزهر • ولم يجد سوى بيت عمه فنزل للإقامة فيه •

وفى البيت رأى ابنة عمه ، وأخذ يستذكر الدروس معها • وارتبط بها نفسيا وفكريا • وأهمل ما عداها حتى الصلاة لم يحسن اداها •

وكره نفسه – كما يذكر – لانه ترك منهج الله ، والتفت الى فتاة • وحاول أن : يسترجع حب ربه ، وينسى تلك الفتاة (الشيطانة) • ولكن كل طريق سلكه لاعادة وضعه الأول قبل الإقامة فى منزل عمه فشمل فى ابعاد اسمها وشبهها من عقله •

(١) آل عمران : ١٤ – ١٧

ويسأل : هل هناك علاج ينقله من طغيان الشيطان .. الى عبادة الله وحده ؟ علما بأنه يميل الى منهج التصوف فى الحياة ويتمنى ان يكون يوما ما واحدا منهم .

● هذا الطالب الأزهرى لم يزل يعيش الآن فى مرحلة المراهقة وهو يقيم فى بيت عمه بالقاهرة .

● وقد بدأت صلته بالله عندما أخذ فى سن مبكرة فى حفظ القرآن الكريم، واشترك مع بعض من زملائه فى المعهد الابتدائى والثانوى فى أداء عبادة الصلاة والصوم، وساعده الجو الاجتماعى فى الصعيد على أداء العبادة لله فى غير عنت ولا مشقة ، حتى بعد أن دخل مرحلة المراهقة هناك وهو لم يزل فى التعليم الأزهرى الثانوى .

فكان دأؤه للصلاة .. ودأؤه للصوم فى رمضان .. وحده على تداييق القيم والمبادئ الاسلامية الأخرى فى سلوكه لا يتف فى طريق هذا الاداء عقبه تحول دونه ، ولا يوجد عامل آخر يصرفه أو يضعف انجذابه نحو اداء الواجب أى واجب من الواجبات الدينية . فلم تكن هناك مغريات دنيوية تحول انتباه الشاب فى مرحلة المراهقة ، نحوها وتكون بالفعل مصدر «فتنة» له .

عندما كان بالصعيد رغم دخوله مرحلة المراهقة – لم يجد تناقضا فى تصوره ، ولا فى واقع حياته بين تعاليم الدين النظرية .. وسلوكه العملى . فسلوكه نئذ كان وفقا لتعاليم الدين ، على الأقل حسبما يتصورها . ولذا لم يحس يوما من الأيام هناك انه أغضب الله فى شىء ما .

ولكن الاحساس بغضب الله عليه لم يظهر فى نفسه الا بعد أن قدم الى القاهرة .. وأقام فى السكن مع عمه ، واختلط بابنته ، واشترك معها فى استذكار الدروس . وهنا كانت اليقظة القوية لغريزة حب البقاء النوعى ، وهى الغريزة الجنسية .

وطبعا كانت موجودة من قبل والطالب لم يزل فى الصعيد . ولكنها كانت نائمة أو كانت عواجل اثارتها لديه ضعيفة . فلما اختلط بابنة عمه ، كان الاختلاط هو الجو الذى تشدد وتقوى فيه هذه الغريزة على أية غريزة أخرى لدى الشباب وعلى تفكيره . وكلما زاد الاختلاط كلما زاد تيقظها وانتباهها . وهنا اختل الوضع السابق . وهو وضع السلوك الانسانى العملى فى ملاءمته للتصور الروحى أو الايمانى لدى الشاب . وابتدأ الوضع السابق يتخلخل ..

وابتدأ الطالب يفقد الاتصال بالله في الصلاة .. وابتدأ الفشل في كل طريق يحاول به الاحتفاظ باحساسه القرب من الله .

● وفي هذا الوقت الذى فقد فيه - أو يفقد فيه - الاتصال بالله : يتصل بواقع الحياة . وأهم شيء في واقع حياته الآن هو ابنة عمه . فهي الشيطان في طغيانه وفي تسلطه عليه ، كما ينعتها في رسالته . والاختلاط بابنة عمه هو مصدر الأزمة النفسية الحالية . وهو يعلم ان هذا الاختلاط غير مقبول عند الله . لأنه اختلاط بغير ذى محرم وفي عزم حضور واحد من محارم الفتاة . فلا الاسلام يجوز له هذا الاختلاط .. ولا الغريزة الجنسية في مرحلة المراهقة التى هو فيها الآن تعفيه من ضغطها ومن دفعها اياه نحو الاختلاط بها . فهو مشدود نحو الفتاة رغم أنفه .. واراوته وايمانه بالقيم الدينية لا يقويان على الحيولة نحوها .

وفي أزمته ان يفكر : يفكر لماذا كان الاختلاط بها غير مقبول عند الله ؟ ومن حرمه ؟ وما دليل تحريمه ؟ وربما يذهب في تفكيره الى الشك في قيمة الايمان نفسه . لأن الايمان يحول بينه وبين ضرورة في حياة الانسان ! . وهى الاختلاط بالمرأة . ولكن الايمان لا يمنع في ذاته الاختلاط بالمرأة . ولكنه فقط يرسم طريقا لهذا الاختلاط يحول دون أن تحل بالعلاقي الجنسية بين الرجل والمرأة كارثة من الكوارث الاجتماعية أو الجنسية . وهو طريق الزواج والعقد الشرعى بينهما .

● وهكذا : شغلت نفس الطالب الأزهرى بالفتاة حتى لم يعد فيها مكان لذكر الله .. أو لاستذكار دروسه . واستولى واقع حياته في القاهرة على ارادته فلم تبق له حرية في اختيار التصرف وتحديد السلوك الذى يجب اتباعه .

وإلى أن الطالب عرف من أول الأمر أن « التطرف » في تطبيق مبادئ الاسلام لا يترتب عليه الا تطرف آخر في الجانب المقابل للايمان . وهو جانب الحياة الدنيا والاستمتاع بمتعها ، لما تطرف في التصور والتطبيق كما كان يفعل في الصعيد . فواقع الحياة الذى يعيش فيه هذا الطالب الأزهرى الآن هو واقع الفتاة التى أحبها وصرفته عن الارتباط بانه جل شأنه في صلاته ، يمثل تطرفا في موقفه وسلوكه ، بعيدا عن الايمان وتطبيق مبادئه .

والاسلام عندما قيم الحياة الدنيا ومتعها المادية لم يقيمها ليخلص من هذا التقييم الى طلب حرمان الانسان الذى يؤمن بالله من متعتها .. وانما فقط ليحول بينه وبين الاسراف فى الاستمتاع بمتعها : فعندما يقول القرآن الكريم

منذ أول أجيال البشرية : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (١) ٠٠ ليوضح ان النذبا لا ينبغي ان يهرب المؤمن من متعتها ، وانما فحسب لا يسرف فى الاستمتاع بها ٠٠ وهنا تطلب مثل هذه الآية الاعتدال وعدم التطرف ٠ ومن لتطرف هجرها وتركها كلية ٠٠ أو الاقبال عليها فى شره ونهم حتى يصبح مسرفا فى استخدامها ٠

ولو أن هذا الطالب واجه متع الحياة الدنيا فى اعتدال فكان لا يرى انشيطان مجسما فى المرأة ٠٠ وبالتالي كان لا يتخيلها الا شرا خالصا ٠٠ لو كان موقفه هذا الموقف لما بلغ افتتانه بابنة عمه هذه الدرجة التى جعلته ينسى اب ، ويذكرها هى ٠

والسبيل الى علاج وضعه الحالى : اما ان يتزوج ابنة عمه ٠٠ أو يترك المنزل ليعيش مع الطلاب فى احدى المدن الجامعية ٠ وعندئذ يجب أن يجاهد نفسه ٠ ومجاهدة النفس هى رياضة يعتمد فيها على الايمان وضبط النفس ، والتوكل على الله فيما يصرف عنه السوء وانفراج أزمته ٠ وكلما مرت عليه الأيام فى المجاهدة كلما خفت أزمته ٠

١٦٥ - الامتحانات ٠٠ وأثارها السلبية :

طالب باحدى الكليات العملية فى السنة الثانية ٠ وقد رسب فيها سنتين يشكى :

انه منذ الصغر كان يرى فى المنام أحلاما تزعجه (وهى أحلام خاصة بالامتحانات)

١ - فكان يرى مرة انه رسب فى الامتحان ٠

٢ - وأخرى انه حدث ما يبكيه أمام ورقة الأسئلة ٠

٣ - وثالثة : انه تأخر عن اللجنة (لجنة الامتحانات) ٠٠ وهكذا ٠٠

(١) الأعراف : ٢١

ورغم هذه الأحلام المزعجة كان ينجح كل سنة حتى التحق بالكلية ،
فابتدأ يتعثّر في سير الدراسة : مرة يرسب ٠٠ ومرة ينجح ٠ ورؤيا المنام
بالنجاح أو بالرسوب لا تفارقه ٠

ومن خوفه من الامتحانات اتجه الى تلاوة القرآن وأهمّل استذكار
المدرّس ٠ ومع تلاوته القرآن ابتعد عن الله ، وانقطع عن أداء الصلاة ٠٠
وعن ذكر الله ٠ ولكنه لم يتجاوز ذلك الى مباشرة الفحشاء ٠

وفي بعده عن الله عرضت له ظواهر نفسية جسيمة - كما يصفها -
منها :

١ - عدم الثقة بالنفس ٠

٢ - وتكرار الرسوب في الامتحانات ٠

٣ - والهيش في فراغ ٠٠

وظل مبتعداً عن الله ، كما ظل الشيطان يوسوس له بشبه تحول بينه
وبين أداء الصلاة ٠ ويسمى هذه الفترة بفترة الجاهلية ٠٠ وخلقت في نفسه :

(أ) المتشاؤم الى أبعد مدى ٠٠

(ب) وكثرة الأحلام المزعجة ٠٠ واهمال استذكار المدرّس والمكسل ٠٠
وعدم الثقة بالنفس ٠

(ج) وبجى ان تركّز في ردنا على رسالته على الرؤيا المنامية ٠

❁ الحالة النفسية للطالب صاحب الرسالة : أنه يرهّب الامتحانات منذ
صنّفه واحتاقته بولى مراحل التعليم ٠٠ وقد تضخمت الرهبة منه وتكون في
نفسه احساس قوى بالخوف منه ، على مدى السنين ومواسم الامتحانات حتى
أصبحت شبحه يتمثل له أثناء نومه فيرهبه ، ويتصور :

١ - انه رسب فيها مرة ٠٠ أو أنه حدث له ما يبكي منها بشأن ورقة الاجابة
٠٠ أو أنه تأخر في الحضور أمام لجنة الامتحانات ٠٠ وغير ذلك مما
يتصوره في حديث النفس أثناء نومه ، عندما تجول الامتحانات
بخاطره ٠ وقلما تفارقه ٠

و اهتزت نفسه واضطربت . فاذا صادف : أنه رأى في منامه أنه قد رسب في الامتحانات ، وجاءت نتيجتها بالرسوب في بعض المواد فيها على أثر لرؤيا المنامية . عندئذ يزداد اهتزاز نفسه ، ويزداد اضطرابها .

ومن اهتزاز نفسه في فترات متلاحقة يفد الثقة في نفسه فيهمل في استذكار دروسه ويتراخى في مطلوب الامتحانات ، ويلجأ الى بعض الوسائل الأخرى ليتخذ منها سبيلا الى اجتياز الامتحانات ، كتلاوة القرآن الكريم . .

والقران الكريم اذ يتلوه قارئ ، حسبما جاء فيه ، انما يتلوه لينتد منه الهداية في السلوك ، والعمل معا . وعندئذ يقى نفسه بهدأيته من الخطأ والانحراف . والقران عندئذ وقاية عن طريق الرشاد الى العمل السوى ، وليس عن طريق حمله كتميمة يتحفظ بها ضد الشر .

وعدم الثقة بالنفس ، كما يترتب عنه التراخي والانصراف عن العمل الجدى ، يترتب عليه أيضا : التشاؤم . والتشاؤم اذا تمكن من نفس الانسان جعل امامه جميع الطرق والمنافذ في الحياة مغلقة . وجعل له النهار ظلما فلا يرى في حياته الا السواد الحالك مملوءا بالأشباح ومصادر الشر . وكلما قوى التشاؤم عند انسان ما ، كلما اشتدت سلبية ، اشتد جموده في الحركة .

والتشاؤم ليس من الاسلام في شيء . فانسان المؤمن اذا رأى ما يكرهه قال : اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا انت ، ولا حول ولا قوة الا بك . . . ويتوكل عليه جل جلاله . ومقدمة التوكل على الله ان يستنفذ المؤمن كل ضروب التفكير في الأمر الذى يقدم عليه ، ويصمم على تنفيذ ما يراه الأفضل والأرجح في تنفيذه . وعندئذ يتوكل على الله ويدعوه لمساعدته .

والسائل يخطىء هنا نى أمرين لا يقرهما لاسلام : يخطىء في اتخاذ تلاوة القران كوسيلة لانقاذه من مشكلة الامتحانات . والمنقذ له منها هو العمل فى السبيل المرسوم لاجتيازها . وهو الاستذكار . ومراجعة موادها حسب الطلاقة البشرية . ويخطىء فى التشاؤم وترك أمره يشتد بقبضته عليه حتى لا يرى بصيصا من نور في حياته . وهنا ينسى الله ر لاعتماد عليه، ويترك الشيطان يدخل بوساوسه الى أعماق نفسه فيثير فيها من الشبه ما يحول بينه وبين أداء الصلاة . . وربما يحول بينه وبين الايمان الصحيح بالله .

❶ وصاحب الرسالة هنا فند الثقة بنفسه . . وضعف في مواجهة مشكلته الخاصة وهى مشكلة الرهبة من الامتحانات . . وتشاءم بحيث أصبح

لا أمل له فى النجاح فى صفوف الدراسة ٠٠ وبعد عن الله فى أداء العبادات وفى الاعتماد والتوكل عليه ٠ وبذلك يكاد يكون قد دخل مجهوده دائرة « اصغر » فى مجهود الانسان البشرى ٠

بالغ فى الخوف من الامتحانات ، وتطرف فى مبالغته وتقديره لها ٠ فأصابته هذه المبالغة حياته بالركود ، والتشاؤم ، والسلبية التامة ، وفقدان الثقة بالنفس ٠

وليس هناك من علاج له ولأمثاله سوى أن يقف بالتحليل على عناصر هذه المشكلة وحلها :

أولا : أن يتابع الدروس والمحاضرات فى الكلية - أو فى مرحلة الدراسة التى هو بها - أولا بأول أثناء الدراسة ٠٠ وأن يراجع ما لم يفهمه منها فى حَتب المراجعة ، بعد الانتهاء من سماعها فى المدرسة أو الكلية ٠

ثانيا : أن يتبع طريقة التلخيص للنقاط الرئيسية التى تتكون منها المادة ، على هامش كتابها الذى بيده ٠ حتى يمكن مراجعتها قبل أداء الامتحان فيها ، وفى دقائق معدودة ٠

ثالثا : أن يدخل الامتحان وهو معتمد على الله وحده ٠ وعندما يتسلم ورقة الأسئلة يقرأ الأسئلة جميعها مرة ٠٠ ومرة ٠ ثم يبتدىء بالاجابة عن السؤال الذى يراه سهلا ثم السؤال الآخر الذى يراه تاليا له فى السهولة ٠٠ وهكذا ٠٠

والامتحانات تتحول الى شبح رهيب اذا جعلت كل شىء فى حياة الطالب ٠٠ وبالأسلوب المنطوى على التهديد والوعيد ٠ وأن الأوان لأن تأخذ وضعا غير واضح العلانية فى حياة الطالب ٠ ولولا انه ليس هناك ضمان فى حيدة « أعمال السنة » ٠٠ لكانت مراقبة الطالب وتببع عمله أثناء الدراسة هو الأسلوب الأول لتميز الطلاب بعضهم عن بعض ٠

ولا تنسى أخيرا الاعتماد على الله فهو دافع نحو السعى والعمل ٠٠ وفى الوقت نفسه هو عاصم من هزات النفس بسبب الخوف ٠

١٦٦ - الزواج بالأجنبي في الدين ، والمعرف ، والوطن ، واسلوب الحياة :

كتب مواطن • لم يذكر موطننا له ، ويروى في رسالته :

ان طالبا اجنبيا لا يدين بالاسلام وقدم القاهرة ليدرس القرآن والمسنة وبعضا من الكتب الدينية • واقتنع بأن الاسلام هو دين الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فاشهر اسلامه ، واحس ان حياته ابتدأت من جديد - كما يقول • وأمضى في هذه الدراسة مدة عامين •

ولصاحب الرسالة ابنة تعمل في احدى السفارات الاجنبية التى كان يتردد عايتها هذا الطالب • وهى تبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة • وفى المغترة التى كان يتردد فيها هذا الطالب على سفارته تعلق بابنة صاحب الرسالة وطلقت هى به ، ويريد الزواج منها ، وهى أيضا تصر على أن تكون زوجة له • فهى فى نظرها : يؤدى جميع المفرائض ولا تجد فيه ما يتسببه • وتقول حتى لو أجمع الجميع (أفراد أسرتها) على رفضه فموتفيا منه لا يتغير وستتوجه • ويسأل :

كيف يتم الزواج ؟

وهل اذا لم يحضر والدها عقد قرانها يكون المتقد باطلا ؟

● ليس لنا هنا كأفراد للأمة الاسلامية أن نفتش فى ضوائر الذين يعلنون ايمانهم برسالة الرسول عليه السلام : هل هم جادون فى ايمانهم أم لا • فقد نهى القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » (١) • فقد نهى عن عدم قبول اسلام من يلقى السلام على المؤمنين وهم فى طريقهم للدعوة فى سبيل الله •

وغاية النهى عن ذلك هو قبول الاسلام ممن يعلن الاسلام • وهذا الأجنبي - كما جاء فى رسالة السائل - قد اشهر اسلامه • وبذلك يصبح واحدا من عداد المسلمين • وهو كفاء من حيث اسلامه للزواج من مسلمة • سواء أكانت هذه التى تصر على زواجه أم غيرها •

(١) النساء : ٩٤

● ولكن هناك أمران وراء ذلك : أمر فقهي ٠٠ وآخر اجتماعي :

أما الفقهي فهو حضور وليها - والدها أو من هو بعده أقرب في عصبيتها - عقد قرانها وكيلا عنها . فيروى في حديث عن رسول الله ﷺ قوله: « لا نكاح الا بولي » ٠٠ أى لا صحة لعقد قران الا بوجود ولي للمرأة فاذا لم يوجد لها ولي فالحاكم هو وليها . ويكاد هذا الرأى الفقهي يكون رأى جمهور الفقهاء . كما يروى عن الرسول ﷺ : « لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة نفسها » ٠٠

وجود الولي في عقد القران لا يمنع اختيار المرأة لمن يعقد عليها قرانه . فالمرأة يؤخذ رأيها فاذا كانت ثيبا وجب أن تعلن رأيها صراحة . وان كانت بكرا فيكتفى لحياتها بسكوتها . والولي تلزمه اجازة عقد الزواج ان كان الزوج كفؤا للزوجة . وبهذا لا يكون تصرف الولي مطلقا حسب هواه

● والأمر الآخر الاجتماعى فهو اختلاف العادات والتقاليد فى بلد كمصر ٠٠ وبلد آخر كالولايات المتحدة الأمريكية . وهى وطن المرشح للزواج هنا . ان المرأة المصرية التى تعيش مع زوج مصرى لها فى بلد كالولايات المتحدة الأمريكية : تحافظ بقدر ما يمكن على بعض العادات والتقاليد الشرقية فى حياتها وحياة أسرتها . وزوجها شريك لها فيما تحافظ عليه من عادات بلده وتقاليد . وهذا مما يسهل للزوجة المصرية تقبل الحياة الأمريكية هناك ، مع ما قد يكون بين العادات والتقاليد هنا وهناك من اختلاف واضح . فهل يمكن للمرأة المصرية أن تعيش مع زوج أمريكى أجنبى فى نشأته وفى مفاهيم الحياة ، بحيث لا تضار نفسيا ٠٠ أى بحيث لا يكون لديها صراع داخلى بين الجديد وما تعودت عليه من قبل ؟

فاختلاف العادات ولتقاليد ليس فى الطعام والشراب . ولكن فى المعاشرة وفى الصحبة والرفاق . ولا أعتقد أن ايمان الأجنبى هنا بالاسلام كفيل بتحويل مشاعره وأحاسيسه بحيث تكون متلائمة مع أحاسيس زوجته المصرية ومشاعرها ، أو قريبة منها .

وعلى أية حال نرجو أن لا تكون ابنة السائل واقعة فى اصرارها على الزواج ممن أعجبت به ، تحت بريق الحضارة المادية التى تزين لها ولغيرها ممن هن فى سنها حياة التقدم الصناعى ذلك التقدم الذى قلما يساوقه تقدم فى الانسانية فى معانيها وقيمتها .

كثبت طالبة باحدى الكليات المرموقة - كما تقول - وام تتخلف حتى الآن • وعمرها تسعة عشر عاما • تذكر قصتها فيما يلي :

أولا : انها من أسرة متدينة • وهى تعرف الله كل المعرفة • وما يقلق حياتها : أن انفها طويل الى حد يلفت النظر • من أجل ذلك تشعر بالقلق • ومن هذا الشعور ابتداءً مستواها يضعف فى الكلية •

ويزيد فى احساسها بالقلق ان الأطفال يعيرون على انفها لاخرتها المصغار • وهذا يسبب لها حرجا كبيرا مع اهالها • وتحاول أن تبدو بينهم غير حريضة • ولكنها من الداخل تحترق •

واذا قدم انسان ما لخطبتها فتحس أنه قدم ليعطف عليها فقط •

وتسأل :

— هل اذا اجريت لها عملية جراحية للأنف يعارض اجراؤها شريعة الله ؟

— واذا لم تعارض العملية الجراحية شريعة الله هل هى مضمونة ؟ وكم تبلغ التكاليف ؟ لأنها من أسرة فقيرة بعض الشيء •

● طالبة السائلة تركز كل تفكيرها على ما تسميه عيبا خلقيا فيها • وهو طول أنفها اسى حد يلفت النظر ، كما تتصور • وأصبحت تعاني من شكلها الذى تصفه بأنه : « قبيح » وتنسى أن الله الذى خلقها على هذا النحو نعم عليها بنعم عديدة :

أولا : انعم عليها بالصحة • فلم تصب مثلا - والعيان بالله - بشلال الأطفال •• أو بالسرطان ، ونحو ذلك من الأمراض لتى ييأس المصاب بها من الشفاء منها •

وثانيا : أنعم عليها بنعمة التفوق فى الدراسة • والتفوق يرفع من شأنها ويزيد من قيمتها عند التقدير والاختبار لعمل ما •

وثالثا : أنعم عليها بالايمان والتدين • وهو فى ذاته فضل يجعل صاحبه مميزا فى سلوكه وفى تصرفاته •• ومأمونا فى عشرته وصحبته • وتلك حيزة يحتاج اليها الزوج فى زوجته ورب العمل فى عمله •

نعم ان جمال الخلق والرجه والبدن نعمة • ولكن كم من جميلة الوجه والبدن وهى من الغباء بحيث لا تميز بين خبيث وطيب •• ومن برودة الطبع بحيث لا تفترق عن تمثال من المرمر صامت لا ينطق ، وجامد لا يتحرك •

نعم الله جل شأنه عديدة • ولكن لا يجمعها فى انسان واحد • وانما يعطى كل واحد منها ما يختبره بها فى موقفه منها : أستخدمها كما يشاء الله؟ أم يخرج بها عن سنته فيطغى أو يعبت بها ؟ •

المال نعمة • والولد نعمة • والذكاء نعمة • والجاه نعمة • والسلطان نعمة • والصحة نعمة • والجمال نعمة • والعلم نعمة •• الى غير ذلك من نعمه جلت قدرته ، وهو لا يعطيها جميعها لواحد ، كما ذكرنا ، ويبتلى بها من أعطاه اياها • فاذا أنفق المال فى الطغيان ، أو سخر الأولاد فى الاعتداء ، أو استخدم الذكاء ، أو الجاه ، أو السلطان ، أو الصحة فى العدوان على الضعفاء ، فإنه عندئذ يخرج بنعمة الله عن غايتها وهدفها • وهدفها أن تكون سبيلا للنفع الخاص والعام : واذا سخرت المرأة جمالها فى الفتنة والغواية ، أو سخر العالم علمه فى التدمير والتخريب يكون كذلك قد خرج بنعمة الله عن اطارها المشروع • وهو اطار الخير للبشرية •

● واذا كانت السائلة ترى فى طول أنفها شرا لها فهى مبتلاة أيضا بهذا الشر ، كما يبتلى الفقير بفقره • فان صبرت جازاها الله خيرا • وان جزعت عذبتها بالضيق والقلق • انها فى سؤالها تصغى كثيرا لما يقال عن أنفها وتتأثر بما يقال • وهذا يدل على عدم الصبر منها • وأولى بها أن تصبر وترضى بما تسم الله لها من نعم • وهى عديدة • ان الله قد عوضها عن طول الأنف • فلماذا لا تفكر فى نعم الله عليها وتنسى طول أنفها ؟

ثم هل ذوق الناس جميعا واحد ؟ ان أذواق الناس مختلفة : فما يراه هذا جمالا لا يحس غيره معنى الجمال فيه • كم من امرأة قصيرة بدينة يعتز بها زوجها لأنها وهبت الصوت الحسن والذكاء ، وحسن التدبير والتقدير للأشياء • والذكاء والتدبير ، وحسن التقدير : صفات نفسية مقابل نقص مادی فى جمال البدن • واذن الزوج لا يرى فيها عيبا يحول دون تقديره لها واعتزازه بها •

وتدين السائلة يجب ان يظهر فى ثباتها وعدم اضطرابها لما يقال عنها من أن لها أنفا طويلة • واتزانها عندئذ سيقبل من هذا النقص الجمالى . سواء فى تصورها أو فى تصور الآخرين •

● أما العملية التجميلية لتغيير الأنف فبى عملية ترفيفية . وليس هناك ضمان لنجاحها كما ينبغي . ومع ذلك فهى مرتفعة التكاليف . والاسلام يوافق على اجراء العمليات التى تعد من الضروريات لسلامة البدن . أما العمليات الترفيفية فهى اشبه بتغيير فى صنع الله ، وتنطوى على عدم الرضا لخلقه .

والحل الآن أن تقلل من أهمية هذا النقص وتعنى بالنعم الأخرى التى وهبت لنا . وبذلك تجتاز هذه الأزمة النفسية . فالمبالغة فى شأن هذا النقص الجمالى هى سبب الأزمة . ولتعلم أنه لا يوجد الانسان الكامل . فالكمال لله وحده . وانعوامل التى تجذب المرأة نحو الرجل ليست دائما هى جمال الوجه .

١٦٨ - العدل فى صيانة التليفزيون :

كتب مواطن من إحدى المحافظات ، يذكر :

أنه حصل على دبلوم ثانوى صناعى ، ويعمل فى شركة بمرتب أربعين جنيها . وفكر فى أن يلتحق بتدريب لصيانة الراديو والتليفزيون ، حتى يزيد دخله ويتلاءم نوعا ما مع ارتفاع الأسعار .

كما يذكر : أنه شاب يحسب ضميره قبل أن يحاسبه الله عز وجل . وشاب متدين ولكن عقله حديثه : لماذا يصلح التليفزيون ومعظم برامج لا تابق بتعاليم الإسلام ؟ وأنا لا أنكر أن التليفزيون يذيع بعض برامج دينية ، ولكنها قليلة . وفى هذا الصراع مع ضميرى وعقلى : لماذا أصلح هذه الأجهزة وشى تذييع برامج لآثاره الخيابة والباطل ، وأسأل : هل أمضى وأعمل فى صيانة الراديو والتليفزيون ؟ أم أتوك هذا العمل وأبحث عن عمل آخر ؟

● هناك أمران يجب الفصل بينهما تماما . هناك العلم . وهناك تذييق العلم . فالعلم يحض الإسلام على السعى لتحصيله . ومن فروع العلم الذى تقوم عليه الصناعة . وفى سورة الحديد جاء قول الله تعالى : « لقد أرسلنا رسالنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ويعلم الله من ينصره ورسوله بالغييب ، ان الله قوى عزيز » (١) .

(١) الحديد : ٢٥

فالأية تعد من نعم الله على البشرية : ارسال الرسل بالهداية الالهية من وقت لآخر ، التى تتمثل فى رسالة الرسول أى رسول ، ليقوم على أساسها العدل بين الناس ٠٠ « لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » ٠

كما تعد من نعم الله على البشرية بجانب الرسالة الالهية : التنبيه الى « الحديد » ومنزلته فى الحياة الانسانية ، سواء فى وقاية الناس ورد العدوان عنهم ، أو فى استخدامه فى وجود شتى هى منافع لهم : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ٠٠

واستخدام الحديد على الوجه الأمثل يتوقف على العلم والتقدم فيه ٠ اذ كلما تقدم العلم وكلما تطور التصبيح الصناعى على أساس التقدم العلمى ، كلما بان للبشرية وجوه المنفع والصلاحية التى يمكن للناس أن يفيدوها من الحديد ٠

فالعلم ٠٠ والتقدم فيه ٠٠ : التطوير فى التطبيق الصناعى على أساس منه : مقدمات ضرورية للكشف عن نعمة من نعم الله على الانسان ، وهى نعمة المعادن التى هى فى جوف الأرض ٠

والمؤمنون بكتاب الله كما هم مطالبون بتطبيقه فى حياتهم ، وفى سلوكهم ، وفى مواقفهم : مطالبون بالعلم فى شؤون الحياة الدنيا وبتنمية ملكاتهم فيه وبحسن تطبيق ما يحصلونه منه :

فالعلم بالكون اذ يوصل فى النهاية الى معرفة الله جل شأنه ، فان العلم بالحديد وما على شاكلته من المعادن الأخرى يوصل الى الاعتقاد بأن الله قوى عزيز ، واذا كانت القوة من صفاته فهو يحب أن يكون المؤمنون أقوياء ٠ واذا كان عزيز الجانب لا يغالب فهو يحب أيضاً أن يكون المؤمنون أعزاء لا ينال منهم عدوهم بحال ٠

● والسائل هنا اذا كان يرى فى ارسال التليفزيون سوء فالجهاز نفسه ٠٠ ولا صنعه ولا المخترع له ليس المصدر لهذا السوء ٠ وانما من يستخدمه على الوجه الذى يرى فيه السائل السوء هو المصدر له ٠

والمخترعات الحديثة كلها ، وكذلك التى تجد يوماً بعد آخر ان صاحب استخدامها شر فالشر ليس من ذاتها ٠ والا كانت دائماً شريرة ٠ وانما هو عارض لها بسبب سوء استخدامها « فالذرة » مثلاً يمكن استخدامها فى

التخريب والتدمير • ويمكن كذلك استخدامها في الأهداف السلمية كمولد للطاقة •

والسائل لا يتخرج اطلاقاً من مواصلته « التدريب » زيادة في دقة التطبيق الصناعي وسعة المعرفة في شئون التكنولوجيا • وتدينه سيجعله أمينا على حسن استخدام ما يتدرب عليه وما يضاف الى معرفته من جديد كل يوم •

وهو اذ يواصل تدريبه سيؤدى خدمة - لا لنفسه بزيادة دخله فقط - وانما لأفراد مجتمعه معه • وهى خدمة ابعاد الاحتكار فى اصلاح الأجهزة الاليكترونية ، وابعاد الغلو فى أجور اصلاحها • وهنا يكون تدينه بجانب دقته فى المعرفة والتطبيق من نعم الله على هذا المجتمع •

ونسأل الله أن يوفق كل صاحب مسؤولية فى أداء أمانته لخير هذا الشعب وأن يتجنب فى أدائها كل ما يسىء لى شبابيه فى مستقبل حياتهم •

١٦٩ - الغش فى الامتحانات :

كتب طالب لم يذكر موطنه : يقول :

انه حصل على شهادة متوسطة والتحق بالقوات المسلحة مجندا • وتقدم لامتحان السنة الأولى الثانوية « منازل » وكانت هناك مادة لم يدرسها من قبل بين مواد الامتحان ولم يكن - على حد تعبيره - يفقه فيها شيئاً • فساعده أحد الزملاء أثناء الامتحان بقصاصة ورقية تدرتوى على الاجابة • ونقلها فى ورقة الاجابة ، مما كان سبباً فى نجاحه فى هذه المادة ، وانتقل الى السنة الثانية •

ولكنه لاحساسه بالذنب كلما تذكر هذه القصاصة : حملاه على أن يعتمد على نفسه فى الامتحانات القالية ، حتى وصل الى التعليم الجامعى •

ويقلقه أنه يعتقد أنه يبني على حرام ومثله كمثّل تاجر : رأس ماله من حرام • ولذا يطالب الافادة برأى الاسلام فى ذلك • ويدع بأنه لا يجزئ ولو كانت الافادة هى أن يترك الجامعة ويعود من أول المسلم مرة أخرى ؟

❶ قبل توضيح الاجابة على سؤال الطالب هنا نود أن نعبر له عن تقديرنا لضميره الحى وخشيته من الله وحسده ، فمثله يكون أمينا فى مسئوليته ، وفى علاقته الأسرية ، وفى سائر كفه الشخصى ، والأمانة فى المسئولية وفى العاللة الأسرية وذى السرك الشخصى تنقص كثيرا من شباب اليوم ، بينما تحتاج اليها الأمة فى بنا مستقبلها احديجا شديدا .

وتصور الوضع هنا لما تم بين الطالب وزميله هو أن :

❷ الطالب أخذ اجابة غيره ونسبها الى نفسه ، وبذلك يكون أخذ حقا ليس له عن طريق اثباته هذه الاجابة فى ورقته الخاصة ، وهذا الحق هو نجاحه فى المادة التى كان لا يفقه فيها شيئا ، كما يحكى .

واعطاء زميل له هذه الاجابة عن رضا واختيار لا يبرر مشروعية الحق الذى وصل اليه وهو النجاح فى المادة ، اذ المدرسة عندما منحتة حق النجاح كانت واقعة عندئذ تحت خداع باشره الطالب وزميله معا ، فقد اشتركا فى مباشرة الخداع ، بعد الاتفاق عليه .

وهذا اثم لا شك فيه وضرره على المصلحة العامة واضح ، وهو تعرضها للضياع فالامتحان يقصد به التمييز بين أفراد الطلاب فى تحصيل المعرفة : جودة ، وضعفا ، وبناء على هذا التمييز يكون توجيههم فى دراسة الكليات المختلفة أو فى مباشرة مسئوليات العديدة ، وهذا ربما - لو شاع هذا العمل الخداع - لأخذ الضعيف مكان المتفوق عليه فى كلية لا يجدر به الانتساب اليها ، أو باشر عملا غير مؤهل له ، وهذا معناه ظلم شخصى ، وظلم كذلك للمصلحة العامة ، ككل .

وما يذكره السائل هنا فى توضيح سؤاله بقوله : « اعتقد اننى أبني على حرام كمثل تاجر رأس ماله من حرام » ، يقرب تصور هذا العمل الأثم فى واقع أمره .

وخطورة الضرر الناتج عن « الغش » فى الامتحانات والتزوير فيها ، على مثال ما يذكره الطالب السائل فى رسالته هذه ، يتمثل :

أولا : فى الاعتراف الرسمى بأهلية الناجحين عن هذا الطريق ، وبصلاحيتهم لمباشرة العمل الذى يسند الى الناجحين فى صدق فيما امتحنوا فيه من مواد معينة تحدد مستوى تعليميا معيناً ، كأساس للصلاحية الخاصة . وهكذا نجد بعض من تناط بهم مسئوليات حسب مستواهم الثقافى والتعليمى

لا يستطيع أداءها • ومعنى أن هذا البعض – من الذى نجحوا غشا وزورا – لا يستطيع أداء مسؤوليته : حرمان من يتعامل معهم من الحصول على حقوقهم المشروعة بسبب عجز أولئك عن الأداء •

ثانيا : تتجلى خطورة الضرر أيضا فى حصول هؤلاء الذين نجحوا بالغش على أجور ، مقابل اهمال أو سوء أداء ، اذا ما كلفوا بمسئوليات رسمية فى وظائف معينة ، دون أن تكون لهم طاقة على الأداء ، ودون أن تكون لديهم أعانة نية • نحن نقبل الغش والخداع فى اغتصاب حق ليس به وانتزاع حق ممن هو صاحبه : يتقبل الاختلاس وأنواع الصور المختلفة فى عدم الأمانة فى العمل أو التصدير فيها •

● واسائل وقد أخذ الطريق الصحيح ، وهو الاعتماد على الذات ، والتوكل على الله فقد عادته وتاب توبة نصوحا ، فكل المراحل حتى اجتازها الآن الى الدراسة الجامعية كان بفضل جهده الذاتية وبفضل استقامته واعتماده على المولى جل شأنه • ومن تاب الى الله توبة نصوحا ولم يعد الى مباشرة الاثم والعصيان وسلك طريق الطاعة الى الله ورسوله غفر الله له ما كان من ذنب وقع منه : « فمن تاب من بعد ظلمه (أى لنفسه أو لغيره ، بارتكابه الاثم والمنكر) وأصلح (بأن عاد الى طريق الله) فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » (١) ••
